الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

سيكولوجية الشخصية الروائية في رواية عازب حي المرجان لربيعة جلطي

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

- كهينة عيادي
- زهوة أقروش

إشراف الأستاذ:

لونيس بن علي

أعضاء لجنة المناقشة:

د. كريمة بلخامسة .....**رئيسة**

د. لونيس بن علي .....**مشرفا و مقررا**

د. سامية ادريس .....**ممتحنة**

السنة الجامعية:

2020-2019

إهداء

إلى الّتي تحمّلت مصاعب الحياة من أجلنا، التّي لو مشيت العالم كلّه وهي فوق رأسي لما وفّيتها حقّها، إلى رمز الحبّ والحنان والصّبر والإخلاص، أمّي الغالية...

إلى الشمعة التي تذوب لتُنير دربي، الّذي تحمّل مصاريف دراستي الثقيلة طوال مساري الدراسي ونصحني وتتبعني دون ملل أو سهو، الّذي شجّعني على اكمال دراسات الماستر حتى بعد أن أصبحت أستاذة، بعد أن أقنعني أن العلم ليس له عمر محدّد أو وقت محدّد ولا يتوقف عند شهادة علمية ما، أبي الغالي...

إلى كلّ من تذكّرته ذاكرتي ولم تحوه مذكّرتي...

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة جهدي الكبير لإنجاز هذا العمل المتواضع.

" كهينة "

إهداء

إلى أمي وأبي اللّذان كان لهما الفضل في إثبات ذاتي وتعزيز ثقتي بنفسي وتجاوز كل العقبات.

إلى إخوتي الذين كانوا نورا يشع في دربي كلما واجهتني الصعاب.

إلى كل من كان له الفضل عليّ طوال مشواري الدراسي ومن ساندني، أهدي هذا العمل.

" زهوة "

كلمة شكر

كل الاحترام والتقدير والشكر للأستاذ المؤطر الدّكتور " **لونيس بن علي** " الذي وجّهنا وأرشدنا في هذا العمل، الذي لم يتخلّ عنّا في أصعب الأوقات في عزّ وباء كورونا لما اختفى الجميع، الذي لم يتوان في تقديم النّصائح وحتى الدروس عبر مختلف منصات التواصل الاجتماعي في بثّ مباشر ومنشورات وتوجيهات مكتوبة ومشروحة، كل التّقدير والاحترام له وهو الذي بثّ فينا روح الرّغبة في البحث ومواصلة العمل من جديد بعدما وضعنا الأقلام مستسلمين بفعل التّعب النفسي الرّهيب بسبب ظروف الحجر الصّحي...

الشّكر موصول كذلك لأعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذه المذكرة.

مقدمة

الرواية شكل من عدة أشكال سردية مستخدمة منذ العصور القديمة، والتي تطورت مع مرور الوقت، فهي فن من الفنون الأدبية النثرية التي ظهرت عند الغرب منذ أكثر من ثلاثة قرون، ثم انتقلت عند العرب منذ أكثر من قرن ونصف.

مصطلح " الرواية" ظهر في العصور الوسطى لتُنسب مع البداية إلى قصص شعرية ثم نثرية مكتوبة تعالج مواضيع دنيوية وقصص واقعية أو خيالية، ثم تطور مفهومها بسرعة اتجاه مفهوم فكرة الخيال. وتعتبر الرواية الفن النثري الأكثر انتشارا ورواجا وتأثيرا على المتلقي كونها تجسّد باحتراف كبير الواقع المعيش، وتعبّر عن اهتماماتنا وانشغالاتنا اليومية كل ذلك يتجسد من خلال عناصرها من مكان وزمان وأحداث وشخصيات، وتعتبر "الشخصيات" العنصر الأساسي للأحداث والوقائع على طول الرواية، ولهذا أخذت الكثير من الدراسات تنصبّ على تحليل ودراسة هذه الشخصيات الروائية من منظورات وجوانب مختلفة، حيث استحوذت دراسة الرواية و تقنياتها و شخصياتها على اهتمام النقّاد والمهتمين بالأدب وذلك بالتركيز على جوانب مختلفة ، فالبعض قدّم نظرة تاريخية في سياق تسلسل تاريخي وثقافي معين، و البعض الآخر قدّم نظرة اجتماعية في سياق اجتماعي، مناخي و جغرافي معيّن، في حين نجد أن آخرون قدّموا نظرة نفسية في سياق نفسي معين.

إن عنصر الشخصية الروائية كان ولا يزال محلّ دراسات مختلفة المنظور من خلال مناهج نقدية مختلفة كالمنهج التاريخي، المنهج الاجتماعي، المنهج الواقعي والمنهج النّفسي

الذي اخترنا تطبيقه في دراستنا هذه، فالشخصيات كانت محلّ اهتمام علم النفس منذ القديم والذي طوّره العالم النفسي "سجموند فرويد" الذي اكتشف نظرية التحليل النفسي و طوّر من المنهج النفسي، فأسقط تحليلاته النفسية كذلك على الفن والأعمال الفنية والأدبية، حيث عمد إلى تحليل منهجيّ، علميّ وموضوعيّ لتفسير شخصية الفرد والولوج إلى أعماقه قصد تحليل وتشخيص مختلف الاضطرابات النفسية التي تلعب دورا أساسيا في تكوين الشخصية وسماتها وأنماطها وطبيعتها والتي تنعكس بطبيعة الحال على الإبداع و الأعمال الفنية.

وعليه فقد حاولنا في بحثنا هذا طرح إشكالية مفادها:

- ما هو المنهج النفسي؟ كيف وأين ظهرت بوادره الأولى عند الغرب؟
- ماذا أضاف فرويد الى المنهج النفسي وما هي أهم مبادئه في التحليل النفسي؟
- كيف قسّم الشخصية الانسانية؟ كيف نلج إلى أعماقها ومعرفة مكبوتاتها وأمراضها؟
- ما معنى الشخصية؟ وما علاقتها بالأدب؟
- هل الشخصية جسد فقط؟ أم أنها جسد وروح وأعماق أيضا؟
- كيف لعمل أدبي أن يكون ميدانا خصبا من الأدلة والمؤشرات التي تعري أعماق الشخصية؟ ما هي أمراض الشخصية والعقد التي تصاب بها وتؤثر عليها داخليا وظاهريا؟
- ماهي أبعاد الشخصية وكيف تتجسد في الشخصية الروائية؟ وما علاقة الشخصية بجسدها؟ وبمجتمعها ومحيطها؟ وبالهاجس الجنسي المتخفي في أعماقها؟

- ما هو الفكر التأملي الذي يسودها في خضمّ فوضى حالاتها النفسية واضطراباتها وفوضى العالم الخارجي الذي تتواجد فيه بقساوته وتناقضاته؟

- لقد استطاعت المناهج النقدية المختلفة تحليل وكشف خبايا العمل الأدبي في جوانبه المختلفة، والوقوف عند مختلف الأبعاد الفكرية والاجتماعية والنفسية والمادية للعمل الأدبي الفني قصد إعطاء صورة عن واقع المجتمع وتأثيراته على الشخصية، فما هي إذن تجليات البعد النفسي والجانب السيكولوجي في رواية "عازب حيّ المرجان"؟

اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن من فراغ بل لأسباب عديدة نذكر منها:

- إشكالية الجسد والجدالات الفلسفية والفكرية التي قامت حوله وحول علاقته بالآخر.

- رغبتنا في الوقوف على العلاقة القائمة بين العمل الأدبي الروائي والبُعد النفسي فيه.

- كون الدراسات المهتمة بسيكولوجية الشخصية مختلفة من حيث طريقة العرض والتناول، حيث لكل باحث طريقته وجانب ركّز فيه أكثر.

- تأثّرنا بطريقة الروائية ربيعة جلطي في رسمها ملامح الشخصية الرئيسية حيث جسّدت من خلالها أمرض الشخصية الانسانية وعقدها وحالاتها وتخبطها بشكل فنّي مؤثر ومُلفت. لقد صوّرت لنا كيف يكون دمار شخص نفسيا وداخليا بفعل استصغاره ومعاناته من النظرة الفوقية للمجتمع بسبب جسد مشوه دون اهتمام بمشاعره ونفسيته وقدراته ومواهبه التي غالبا ما يعوّض بها نقصه، فيكون ضحية أحكام سطحية ونظرة مادية ضيقة لا تراعي حكمة ورزانة وفكر وذكاء وقدرات الأشخاص.

الروائية ربيعة جلطي جسّدت من خلال شخصيات روايتها الأساسية خاصة معاناة شخصية البطل زوبير، الذي بات يغرق شيئا فشيئا في ظلام الكبت والعزلة والأوهام هروبا من قساوة المجتمع الذي لا يعترف إلا بالمظاهر ولا يحكم إلاّ عليها.

وظّفنا في بحثنا هذا آليات المنهج النفسي للإجابة على إشكالية البحث، وحاولنا تطبيق بعض مصطلحاته ومبادئه على شخصيات الرواية، وقد قسمنا البحث وفق خطة منهجية كما يلي:

- مقدمة بسيطة عن موضوع الدراسة وإشكالية البحث، وثلاثة فصول متفرعة إلى مباحث.

- الفصل الأول بعنوان المنهج النفسي، نشأته وتطوّره، في مبحثه الأول تحدثنا عن جذور المنهج النفسي عند الغرب، في المبحث الثاني حاولنا إظهار العلاقة بين علم النفس والشخصية من خلال النظريات القديمة الأولى كنظرية جالينوس وغيرها.

- بينما في الفصل الثاني كان بعنوان التحليل النفسي والأدب، في مبحثه الأول تطرقنا لنظرية التحليل النفسي لفرويد، أهم المصطلحات والمبادئ التي جاء بها فرويد في التحليل النفسي، وفي المبحث الثاني حاولنا إبراز علاقة التحليل النفسي بالأدب.

- أما الفصل الثالث والأخير فهو فصل تطبيقي قمنا فيه بتحليل سيكولوجية الشخصية في رواية عازب حي المرجان لربيعة جلطي، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الشخصية الروائية وأنواعها، وفي المبحث الثاني ملخص صغير عن أحداث الرواية وأهم الشخصيات

فيها. أما في المبحث الثالث فحاولنا إظهار أبعاد الشخصية الروائية في "عازب حي المرجان" وهي البعد النفسي وعقد الشخصيات، البُعد الجسدي وعلاقته مع الآخر، البعد الاجتماعي، والبُعد التأملي والثقافي للشخصيات الرئيسية والبارزة في الرواية.

بالنسبة للمراجع التي اعتمدناها طوال فترة البحث كانت بالدرجة الأولى مراجع وكتب في علم النفس والتحليل النفسي ككتب سجموند فرويد، إضافة إلى كتب أخرى، وأغلبها كتب ومراجع إلكترونية، وذلك بسبب ظروف الحجر الصحي التي حرمتنا من التنقل إلى المكتبات واستخراج كتب ورقية. وهي صعوبة من الصعوبات التي واجهتنا صراحة أثناء البحث. إضافة الى كثرة المراجع صراحة في مجال علم النفس المتشعب والواسع والغير محدود كسعة ولا محدودية النفس البشرية وكذلك النظرية الفرويدية.

وأكبر صعوبة واجهتنا على غرار كل الطلبة هي معاناتنا النفسية الرهيبة في فترة الحجر الصحّي بسبب تفشي وباء كورونا المستجد " covid 19 "، فترة حجر امتدت لأكثر من خمسة أشهر كاملة بين جدران المنزل في عزلة عن العالم كادت تقتل فينا الرغبة في العمل والبحث، حيث استسلمنا واضعين أسلحتنا من أقلام وأوراق، غير أن تشجيع الأستاذ المشرف ودفعه لنا من خلال تواصله الغير منقطع معنا من خلال شبكة التواصل الاجتماعي شجعنا وهدّأ من روعنا، فكان له الفضل الكبير صراحة في بقاء شعلة الأمل والرغبة في مواصلة العمل متّقدة فينا حيث تمكّننا أخيرا من إنهاء هذا العمل المتواضع.

الفصل الأول

المنـهج النفسي، نشأتـه وتطوّره

الفصل الأول: المنهج النفسي، نشأته وتطوره

1 - تعريف علم النفس:

الانسان كائن نفسي واجتماعي، يعيش في مجتمع وبالتالي فإن شخصيته وحياته الاجتماعية والنفسية مرتبطة بالمجتمع، وعليه فإن علم النفس يدرس هذا الإنسان في إطار مجتمعه ومحيطه الاجتماعي الذي يحيط به وسلوكاته ونفسيته في ظل هذا المحيط،" فحياة الإنسان تتكون من مجموعة الحلقات المتقاطعة فكريا واجتماعيا وعلاقته مع غيره تحدد نوعية شخصيته ومستواه الاجتماعي "[1] فعلم النفس إذا ما نظرنا إلى الجوانب التي يهتم بدراستها فإنه يعني مختلف صفات الفرد الداخلية والخارجية التي يتميز بها، وهذه الصفات نفسرها في إطار ووضع اجتماعي معين "يعرف علماء النفس والأدب علم النفس بالتناوب بوصفه (علم الحياة العقلية) أو (علم السلوك) أو بوصفه مجموع السمات التي تميز خلق فرد أو جماعة ما."[2]

2 - علاقة علم النفس بالأدب:

إن علم النفس والأدب مترابطان، يكمَل كل واحد منهما الآخر منذ وجدا، فالعلاقة

[1] اياد جوهر عبد الله، التحولات النفسية في الشخصية الروائية: شرق المتوسط لعبد الرحمن مونيف أنموذجا، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد السابع، العدد 2، السنة السابعة، 2012، ص02.

[2] المرجع نفسه، ص 02.

تعود للقديم، حيث وجدت عدة نظريات درست النفس البشرية وعلاقتها بالإبداع الأدبي.

المبحث الأول: المنهج النفسي، جذوره ونشأته عند الغرب

لقد انتبه أفلاطون لعلاقة الأدب بالنفس الإنسانية عندما تطرق في كتابه " الجمهورية " لأثر الشعراء في منظومة القيم والحياة في المدينة ، وكان بذلك أول من تطرق للجانب النفسي للإنسان وأول من وظفه في الأدب " في تلك المراحل التي لم تكن قد تبلورت فيها بشكل منهجي ... مثلا نجد في نظريات أفلاطون عن أثر الشعراء على منظومات القيم والحياة في مدينته الفاضلة، بداية لهذا الالتفات العميق للجانب النفسي في بعث فلسفة الأدب"[1] ولذلك نجد أفلاطون قد طرد الشعراء من مدينته لما لهم من أثر على العواطف الإنسانية وما له من ضرر اجتماعي .

كذلك ربطت نظرية " التطهير " لأرسطو في كتابه " فن الشعر " الإبداع الأدبي بالنفس، " إنما يربط الابداع الأدبي بوظائفه النفسية "[2]. حيث ربط أرسطو في نظريته تطهير الأدب بوظائف نفسية، يرى أن " العواطف الانسانية التي نجدها في الأعمال الأدبية والفنية تطهّر المرء "[3]. فكثير ما نميل أثناء قراءتنا لعمل إلى البطل ونتعاطف معه، ما يساعدنا على تطهير أنفسنا من المكبوتات والانفعالات السلبية، فنشعر بتوازن نفسي وراحة، فأرسطو

[1] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2002، ص 65.

[2] المرجع نفسه، ص 66.

[3] صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة السابع من أفريل، ط1426،1، ص 80.

في كتابه "فن الشعر " عند موازنته بين الملحمة والتراجيديا يرى أن " هذين الشكلين...يحققان نفس متعتهما الخاصة بطبيعتهما، وذلك بإحداث "التطهير" من انفعالي الخوف والشفقة "[1].

ليأخذ مصطلح التطهير بهذا معنى التنفيس الوجداني وترويض بعض العواطف خاصة عاطفتي الخوف والشفقة لدى المتلقي عن طريق بعض الفنون الأدبية كالشعر والتراجيديا وغيرها التي تعمل على تعديل وإصلاح العواطف الانسانية وتطهيرها من العواطف الزائدة.

ومع مرور الوقت أخذ المصطلح مفهوم جمالي ونفسي يعبر عن الانفعال الذي يُحدثه عمل أدبي معين في المتلقي، فالتّطهير إذن مصطلح نفسي جمالي وفلسفي دخل مجال علم النفس بهدف تحقيق علاج نفسي وكان فرويد أول من استخدمه بمعنى التفريغ العقلي واستعمله في علاج بعض الأمراض النفسية.

ومع مرور الوقت وتطور البحوث أصبح المنهج النفسي علما قائما بذاته له أسسه ومبادئه "، فالمنهج النفسي تطور بشكل علمي منظم مع نهاية القرن التاسع عشر بصدور مؤلفات "فرويد" في التحليل النفسي وتأسيسه لعلم النفس، استعان في هذا التأسيس بدراسة ظواهر الإبداع في الأدب والفن، كتجليات للظواهر النفسية، من هنا يمكن أن نعتبر ما قبل فرويد من قبيل الملاحظات العامة التي تؤسس لمنهج نفسي بقدر ما تعتبر إرهاصا وتوطئة له،

[1] أرسطو، فن الشعر، ترجمة الدكتور إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، ص 43.

لكن المنهج ذاته يبدأ مع تكون علم النفس أو علم التحليل النفسي عند سجموند فرويد "[1].

والاهتمامات الأولى بتحليل الشخصية الانسانية بدأت منذ القديم مع جالينوس "إن الاهتمام بدراسة الشخصية له تاريخ طويل، فلقد اقترح جالينوس منذ القرن الثاني قبل الميلاد نظرية تنميطية للشخصية بناءً على اختلاف توزيع أخلاط البدن أو سوائله..."[2]، فدراسة الشخصية الإنسانية لم تكن وليدة الدراسات الحديثة والمناهج الحديثة، بل كان منذ القرن 2 ق.م على يد العالم اليوناني جالينوس الذي أطّر لدراسة شخصية الانسان، حيث قسمها إلى أربعة أنماط ولكل نمط من الشخصيات سلوكاتها الخاصة. " قسم جالينوس الشخصيات إلى أربعة أنماط: سوداوية، دموية، بلغمية وصفراوية. ويبيّن الأخلاط السائدة أو الغالبة في السمات السلوكية السائدة لكل نمط. ولاحظ أن السوداوي متناقض للدموي وأن البلغمي مناقض للصفراوي، ويجب الإشارة إلى أن هذا التقسيم ظل تأثيره سائدا في العديد الدراسات المعاصرة"[3].

كما نجد إضافة إلى تقسيم جالينوس تقسيما آخر ل " فرنون" حيث يرى فرنون أنه توجد ثلاث فئات أساسية لنظريات الشخصية هي: الساذجة، الحدسية، الاستدلالية أو الاستنتاجية،

[1] صلاح فضل، مرجع سابق، ص 66.

[2] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1996، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص 10.

ويمكن إضافة الرابعة وهي الإنسانية "[1].

إن ترتيب وإشباع الحاجات مهم جدا أيضا حسب " نظرية ماسلو" التي تعتبر من " أكثر نظريات علم النفس الإنساني شيوعا، تقوم على أساس التنظيم الهرمي لحاجات الإنسان ومما يشكل شخصية الفرد أثناء محاولته إشباع حاجاته."[2]

1 - **النظريات الاستدلالية للشخصية:** هذه النظريات تقوم على أساس التحليل العلمي الموضوعي للشخصية، لذا فإنها تعتبر المجال الذي يستخدم فيه القياس النفسي، وتستمد هذه الحركة جذورها من الاعتقاد بأن ميول الإنسان السلوكية يمكن تصنيفها على أنها سمات أو عوامل يمكن قياسها باستخدام الاختبارات والحكم عليها باستخدام التحليل العاملي "[3]. فهذا النوع من النظريات يعتمد على أسس علمية والقياس بتتبع السلوكات الإنسانية وتحليلها بطريقة التحليل العاملي، وذلك باعتبار أن ميول الإنسان وسلوكاته يمكن تصنيفها على أنها سمات أو عوامل يمكن قياسها باستخدام اختبارات ثم الحكم عليها.

2 - النظريات الحدسية في الشخصية:

أسسها فرويد الذي يعتبر" من أشهر أسماء علماء النفس في كل العصور، إذ يعرف

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، مرجع سابق، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

بأنه أب علم نفس الأعماق، وتعرف نظريته أيضا بالنظرية النفسية الدينامية أو علم النفس الإكلينيكي "[1]، فقد تمتعت نظرية التحليل النفسي بانتشار واسع كمجال للبحث وكأساس لعلاج المرضى العقليين، فنظرية التحليل النفسي لفرويد أذن تعتمد على "الحدس" في النظر للشخصية الإنسانية وتحليلها وعلاجها.

المبحث الثاني: علم النفس والشخصية

في ميدان الأدب تقوم الدراسات التي تُعنى بسيكولوجية الشخصية على عدة أنواع، فمنها ما يهتم بدراسة شخصية الكاتب المؤلف، دراسة سيكولوجية الإبداع الأدبي من شعر، نثر، مسرح وغيرها، أو دراسة الشخصيات الفنية المتخيلة في رواية ما. ففي النظريات والمناهج السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرا أساسيا، حيث حلّلت مختلف جوانب الشخصية سواء الشخصية الفرد الاجتماعي أو الشخصية الروائية، فالشخصية الروائية كذلك تعتبر كائنا إنسانيا، وتتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبّر عن واقع طبقي، وتعكس وعيا إيديولوجيا سائدا.

إن الشخصية حسب المناهج السياقية السيكولوجية يجب دراستها في سياق السرد الروائي، لا خارجه عكس ما تراه المناهج النسقية كالبنيوية التي جرّدت الشخصية من جوهرها النفسي والاجتماعي، فالمنهج النفسي إذن ينظر للشخصية بوصفها "كائنا" وشخصا

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، مرجع سابق، ص 17.

بل مجرد جزء فاعل له دور محدد في الرواية. "وفي نفس السياق تساءل هنري جيمس ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال، وما العمل إن لم يكن تصوير للشخصيات، فالعمل الأدبي لا قيمة له دون شخصيات ترسم ملامح الأحداث والقصة، بل القصة أو الرواية نفسها هي مجرد وصف للشخصيات وتبيان لحالها وطبيعتها ويومياتها. فالرواية هي الشخصيات ليس إلا. " كل قصة هي شخصيات "[1]، كل عمل أدبي يحمل شخصيات، فكل رواية تتوفر على شخصيات وما الرواية إلا قصة فيها مجموعة أحداث تقع في زمان ومكان محددين، وتدير هذه الأحداث مجموعة من الشخصيات على نوعيها الرئيسية والثانوية.

وبذلك يستحيل توفر قصة و أحداث دون شخصيات تتقمص أدوارها في القصة، تلك الأدوار والسلوكات التي بدورها تمكننا من التعرف عليها، يعرف الباحث المغربي حميد الحميداني الشخصية أنها " الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي ، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يمكن التعرف عليه من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوكات الشخصيات"[2] فالشخصية إذن عنصر فاعل في الرواية لها جوانب مختلفة من جانب اجتماعي يعكس

[1] نبيلة زويتش، تحليل الخطاب السردي، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص133.

[2] جويدة حماش، بناء الشخصية (مقاربة في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص 56.

المجتمع الذي تعيش فيه وتتأثر به، وجانب نفسي وثقافي تتأثر كذلك بهما، وكلها تساهم في التعريف بمفهوم الشخصية، كما أن القارئ كذلك ترتسم في ذهنه صورة عن شخصيات العمل الأدبي وفق تصوره وثقافته ونفسيته، وبالتالي تكون للشخصية مختلفة الأبعاد وتقبل عدة قراءات.

من التعاريف الواردة عن الشخصية أنها " التنظيم الذي يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخُلُق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدّد توافقه المميّز للبيئة التي يعيش فيها "[1]، وهو تعريف عام للشخصية الإنسانية عامة إضافة كذلك إلى الذكاء الذي يلعب دورا مهما في شخصية الفرد. عندما وظّف فرويد منهج التحليل النفسي على الشخصية تطرق لجانب "استقرار الشخصية" أو " الشخصية المستقرة " نفسيا. ما هي الشخصية السوية والمستقرة في نظر فرويد؟

إن الشخصية المستقرة لا تعني أن يكون للجميع نفس النمط من الشخصيات، بل العكس الشخصيات عديدة ومتنوعة، فهناك العديد من أنواع الشخصيات المستقرة. " إن التوازن قد يقوم حول ميكانيزم دفاعي خاص مثل الكبت والإسقاط أو تكوين ردّ فعل أو قد يُبنى على تقمص قويّ خاص مثلما يحدث حين يشكل شخص نفسه على نمط أحد والديه أو أحد إخوته، أو أي بطل آخر يؤثره. وينجم الاستقرار أيضا عن نموّ الانتقالات والتساميات

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، مرجع سابق، ص08.

والتراضيات المعتادة "[1]. فالشخصية المستقرة في نظر فرويد لا يعني أنها لا تعاني ولا تعيش حالات نفسية كالقلق والتوتر وغيره، بل هي شخصية تشهد تغييرا، لكن التغيير هذا يدخل دائما في إطار نمط شخصية الفرد وميولاته حسب نموذج شخصيته " فثمة من الطرائق التي تشغل وقت المرء. وليس ثمة فردان لهما على الدقة نفس أنماط الاهتمامات والأذواق والتعلقات، ومع ذلك فكل منها قد وصل إلى طريقة في الحياة تكفل له شيئا من الاستقرار"[2]. فالشخص قد يغير من هواياته وعمله وغيره لكنه يبقى وفيا لنمطه حتى في التغيير الذي يقرّره. " فالتنوعات التي تدور حول موضوع واحد هي الطابع النموذجي لشخصية الرّاشد، وليس تعاقب موضوعات جديدة"[3]. فالتغيير ذاته خاضع لميولات شخصية.

إن الشخصية المستقرّة تواجه التوتّر، الإحباط، القلق، الخوف وتتكيف معه. " إن الشخصية المستقرّة هي شخصية تجري فيها تعديلات وتشكلات لمواجهة زيادة التّوتر "[4].

[1] كلفن هال، أصول علم النفس الفرويدي، ترجمة: الدكتور محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص137.

[2] المرجع نفسه، ص137.

[3] المرجع نفسه، ص149.

[4] المرجع نفسه، ص13.

الفصل الثاني

التحليل النفسي والأدب

الفصل الثاني: التحليل النفسي والأدب

أنشأ سجموند فرويد نظرية التحليل النفسي في ستينات القرن الماضي، وهي علم من علوم النفس تقوم عليه، والتحليل النفسي عند فرويد هو نظرية في الشخصية، "بيد أن هناك جانبا آخر من التحليل النفسي، فالتحليل النفسي هو أيضا للعلاج النفسي، ويشمل طرقا لعلاج الجانب الانفعالي للمضطربين بين الناس... والجوانب العلاجية في التحليل النفسي لاحقة للجوانب العلمية والنظرية وتابعة لها"[1].

كما أن علم النفس له علاقة وطيدة بالأدب كون كلاهما يحلّل الانسان بعواطفه وأحاسيسه. وقد بين فرويد نفسه العلاقة بين علم النفس والتحليل النفسي عندما قال " يندرج التحليل النفسي في مجال علم النفس، لا علم النفس الطبي بالمعنى القديم ولا علم النفس الخاص بالعمليات المرضية، ولكن علم النفس فحسب، ومن المؤكد أنه لا يشمل علم النفس كله، بيد أنه أساسه وربما كان دعامته الكاملة "[2]، وهو حديث عن التحليل النفسي كنظرية في الشخصية، يعالج الاضطرابات النفسية للأفراد بطرق لها علاقة بجوانب علمية ونظرية وتابعة لها.

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص 21، 22.

[2] المرجع نفسه، ص 22.

فعلم النفس الفرويدي مذهب نظري في علم النفس بينما التحليل النفسي هو منهج من مناهج العلاج النفسي.

المبحث الأول: مدرسة التحليل النفسي لسجموند فرويد

أ - **تعريف سيجموند فرويد**[1](Sigmund Freud) : هو عالم نفسي، وطبيب الأمراض العصبية ومؤسس علم النفس الحديث، بشخصيته الفريدة أثبت قدرته في افتعال الجدل في الأوساط العلمية بسبب أطروحاته العلمية بين مؤيد ومعارض لها. ولد فرويد يوم السادس من مايو 1856 في التشيك من عائلة يهودية، كان المفضل بين أشقائه، درس الطب ونال شهادته العلمية سنة 1881.

كان لزميله الفيزيولوجي "جوزيف برويز" الفضل الأول في تغيير مسار اهتمامه العلمي، حيث تعرف فرويد على التنويم المغناطيسي في معالجة مرضى الهيستيريا وقام فرويد بمساعدة زميله في هذا المجال، ورحل إلى باريس لكسب مزيد من الخبرة في هذا المجال، وأنشأ عيادته النفسية وطوّر أحدث طرق للعلاج النفسي وهنا خطر على باله مصطلح "التحليل النفسي في علاج الاضطرابات العقلية والنفسية" وكان نظريته في التحليل النفسي أشهر النظريات في مجال علم النفس الحديث.

كانت له الكثير من الأعمال ومن أشهر أطروحاته "عقدة أوديب" التي يراها كعقدة نفسية

[1] سغموند فرويد، عالم النفس الذي انتحر. www.doc.aldjazeera.net

تظهر في مرحلة الطفولة بسبب قرب الطفل لأمه والحقد على أبيه.

ترشح فرويد لجائزتي نوبل في الأدب وفي الطبّ لكنه لم يحصل على أي منهما لأن ألبرت إنشتاين اعترض برسالة مكتوبة للمطالبة بألاّ تقدم له أي الجائزتين، وطبعا ثقل إنشتاين في الوسط العلمي رجّح الكفة لصالحه على حساب فرويد.

في عام 1939 طلب فرويد من طبيبه جرعة مميتة من المورفين توفي على إثرها عن عمر يناهز 83 سنة.

ب- **تعريف التحليل النفسي:** " التحليل النفسي هو علم نفس مادي وعلمي. قد بين أن ما يحرك السلوك الانساني هي الدوافع والحاجات التي تغذيها "الغرائز" ذات الجذر الفيزيولوجي التي لا تُدرك مباشرة "[1]، فهو علم يدرس سلوكات الفرد وحاجاته ودوافعه الغريزية الحيوانية، وهي حاجات تُدرك بالتحليل والدراسة كونها تختبئ في أعماق الفرد، ففي كثير من الأحيان سلوكنا تحركه دوافع وغرائز لا يستوعبها عقلنا الواعي لأنها تكون مختبئة في اللاوعي. " وإن كثيرا من الدوافع الحاسمة في السلوك النفسي ليست واعية عند الانسان. كما كشف بشكل خاص في الإيديولوجيات الخاصة أو العامة عن بعض الرغبات أو الحاجات ذات الأصول الغرائزية، وكذلك فعل أيضا بالنسبة للدوافع "المثالية" و"الأخلاقية" "[2].

[1] إيريك فيروم، أزمة التحليل النفسي، ترجمة الدكتور طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1988، ص 133.

[2] المرجع نفسه، ص 133.

موضوع التحليل النفسي هو أولا تطوير الوعي النقدي الذي يفضح الأوهام الحتمية التي تقف عائقا على القدرة على الحركة، فالتحليل النفسي ساهم في محاولتنا معرفة الحياة، حيث يرى أن حاجة الانسان للموت والتهديم أساسية تماما كحاجته للحياة، وأن العدوانية الإنسانية غريزة ويصعب السيطرة عليها.

التحليل النفسي " يعلمنا أن نشك فيما يمكن للإنسان قوله، لأن ما يقوله عادة وفي أفضل الأحوال لا يكشف سوى وعيه، كما يُعلمنا أن نقرأ بين الأسطر وأن نستخدم "حاسة سادسة" للإصغاء وقراءة الوجه، والحركات التي يعبر عنها الجسد "[1].

التحليل النفسي إذن لا يكتفي بما يصدر عن الإنسان أثناء وعيه، بل يدعونا إلى توظيف حاسة سادسة بعيدا عن الحواس المعروفة وتتمثل في الشعور بالغيب والقدرة على اكتشاف خبايا الجسد المكبوتة. " إن باستطاعة التحليل النفسي أن يساعد الناس على التعرف على محبي الموت رغم قناع إيديولوجيتهم السامية، ويتعامل معهم ...لكنه يعلم أن اكتشاف عناصر حب الموت وعناصر حب الحياة التي تكمن في داخلنا "[2].

تم دراسة الإنسان فعلا بالتفصيل، وتحليل السمات النفسية ووضع النظريات الكثيرة في هذا المجال لاسيما على يد سجموند فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي الذي

[1] إيريك فيروم، مرجع سابق، ص 185.

[2] أياد جوهر عبد الله، مرجع سابق، ص 02.

استطاع صبر أغوار النفس البشرية وتقسيمها الى دوائر مترابطة فيما بينها.

يعتبر فرويد من الرواد المؤسسين لعلم النفس والتحليل النفسي عند الغرب، له عدة أعمال ومؤلفات ودراسات شخصية الفرد السيكولوجية " سجموند فرويد صاحب نظريات سيكولوجية يرى أن التحليل النفسي هو قبل كل شيء نظام من أنظمة علم النفس وليس فقط فرعا منه فحاول اكتشاف عقل الإنسان بمنهج التحليل النفسي وكان أحد مؤسسي الطب النفسي الحديث، وقد أجرى دراسات في الظواهر الفيزيولوجية للإنسان "[1].

درس جيدا الطبيعة البشرية مما جعله مفكرا متشائما وناقدا لاذعا، و" لم يكن لديه ظن طيب بالجنس البشري "[2]، إذ رأى فرويد أن الإنسان يتعلق بالأوهام ويرفض تقبل المنطق والعقل، ولهذا نجده ينظر نظرة تشاؤمية للإنسان ويرى أن " القوى غير المتعلقة في طبيعة الإنسان تبلغ من الشدة حدًا يجعل للقوى المتعلقة فرصة ضئيلة للتغلب عليها"[3].

يرى فرويد أن المجتمع هو نتاج لا تعقل هذا الإنسان مما يجعل المجتمع خال من العقل والتفكير المنطقي، فنجدهم يعيشون بالأوهام والخرافات والخدع بل ويفضلونها على الحقيقة، ولا يثقون في العقل.

---

[1] ايريك فيروم، مرجع سابق، ص 134.

[2] كلفن هال، مرجع سابق، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص23.

" ونتيجة لذلك أن يفسد كل جيل جديد إذ يولد في مجتمع خلوٍ من العقل "[1].

إن منهج التحليل النفسي يقوم على ملاحظة الظواهر النفسية المرضية عند الإنسان ويكمن إنجاز فرويد في تناوله مجموعة مسائل كانت قبله فلسفية مجردة، لكنه جعلها محل تحقيقاته بطرق تجريبية.

" يرى فرويد أن الإنسان كنظام مغلق تحركه قوتان: دوافع حفظ الذات والدوافع الجنسية "[2]، ففي الإنسان غريزتان غريزة حبّ الحياة والدفاع عن النفس وغريزة جنسية حيوانية، وكلاهما مترابط بحيث أن ما يشبهه بحب الحياة من توتر وخوف يظهر في الغريزة الجنسية على شكل لذّة، " فالإنسان في المقام الأول كائن معزول همّه الأول الإشباع الأقصى لأناه ولفائدته اللّيبيدية. إن إنسان فرويد هو الإنسان الآلة الذي يتحرك ويتأثر فيزيولوجيا "[3]، فالإنسان مجرد آلة تحركها الغرائز الجنسية، هو كائن مُسير لا مُخير، لا حول له ولا قوة أمام غرائزه الحيوانية، وقد أطلق فرويد على هذه الغرائز اسم " اللّيبيدو ". حيث افترض فرويد مجموعتين من الغرائز يعتبرها بمثابة القوة المحركة للحياة النفسية عند الإنسان وهي غرائز حفظ الذات والغرائز الجنسية، وأطلق كلمة اللّيبيدو على تلك الغرائز الجنسية. قسم فرويد النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام هي: الشعور اي الوعي واللاّشعور وينقسم بدوره إلى الأنا،

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص23.

[2] إريك فيروم، مرجع سابق، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص 38.

الهو والأنا الأعلى.

ج-المبادئ والمفاهيم الأساسية للتحليل النفسي عند فرويد:

يضع فرويد مبدأ أساسيا للنشاط النفسي هو "مبدأ اللّذة "، أي الميل للبحث عن تفريغ المكبوتات والشهوات الكامنة في أعماق نفس الفرد، والبنية الغرائزية للكائن الإنساني مشروطة في نظر فرويد بعاملين اثنين هما " جبلته التكوينية التي يحملها معه منذ الولادة، ومصير وجوده، خاصة مصير الطفولة الأولى. فهو ينطلق من اعتبار أن الجبلة التكوينية والتجربة المعاشة يشكلان سلسلة متكاملة "[1]. واللّذة عموما تكون عن طريق الجنس حسب نظر فرويد فيسميها الغرائز الجنسية التي يرى أن لها خصائص محددة، منها أنها متحولة تكون مرتبة أدنى على غرائز حفظ الذات كالأكل والشرب وغيره، لكن إذا لم نشبعها فأنها قد تطغى على غرائز حفظ الذات وتصبح أقوى منها، " غرائز حفظ الذات أوّلية على الغرائز الجنسية: ولكن ليس بمعنى أنها الأكثر إلحاحا في حالة الصراع، وأنها تصبح الأكثر قوة إذا لم تشبع "[2]. الغرائز الجنسية يمكن كبتها في اللاّوعي بينما غرائز حفظ الذات كالجوع والعطش فيمكن إشباعها فقط بالأكل والشرب. إنّ هذه الغرائز الجنسية المكبوتة في لاوعي الإنسان أو وعيه تتحقق كذلك بالهوايات، وتتحقق إما بالحب أو بالمشاهد أو غير ذلك من

[1] إريك فيروم، مرجع سابق، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 134.

الأساليب التي تشبع الغرائز الجنسية، فغرائز حفظ الذات تحتاج لوسائل حقيقية لإشباعها، بينما الغرائز الجنسية يمكن إشباعها بطرق غير مباشرة " إلا أن هذا لا يعني أن تبقى طويلا دون إشباع "[1].

الإنسان الجنسي عند فرويد شبيه بالإنسان الاقتصادي الكلاسيكي، كلاهما معزول ويكتفي بنفسه وعليه أن يقيم علاقة مع الآخر حتى يشبعا حاجاتهما. غير أن الإنسان الاقتصادي يشبع حاجاته بتبادل الخيرات في سوق الاستهلاك بينما حاجات الإنسان الجنسية هي " حاجات فيزيولوجية وليبيدية تُشبع عادة بعلاقات تبادلية بين الجنسين "[2].

من المبادئ الأساسية التي أكد عليها فرويد نجد أنه أكد في نظريته على نقاط مهمة جدا منها: أن النفس البشرية تتكون من شعور ولاشعور. "بالإضافة إلى المستوى الشعوري للعمليات العقلية يوجد اللاّشعور، يؤثر على سلوكنا دون أن تكون على وعي بها "[3]، حيث يعتبر فرويد الشعور مجرد مخزن لكل التجارب والخبرات المكبوتة وخاصة غير السارة منها. فالنقطة الأولى إذن هي الشّعور واللاّشعور.

[1] إريك فيروم، مرجع سابق، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

[3] كامل محمد عويضة، مرجع سابق، ص 19.

1- الشّعور واللاّشعور:

الشعور من خواص النفس... فالنّفس لا تستطيع إلا أن تَشعُر، وهي تشعر في كل لحظة من لحظات الحياة، حتى إنَّ أحدهم قد شبَّه الشعور بتيار الماء الذي لا ينقطع، يتغير ماؤه من لحظة لأخرى، وقد تتغير سرعته أو اتساعه أو عمقه، ولكنه مع ذلك مستمر، والإنسان يشعر حتى أثناء نومه بدليل أن النداء أو الطَّرْق يوقظه"[1] وإن كان ضعيفا أثناء النوم. نحن نشعر بالجوع والعطش والتعب وبكل ما يحيط بنا.

" وكان علم النفس يعرَّف بأنه "علم دراسة الشعور"[2] لأن كل ما تحويه النفس يحويه الشّعور، فكلما ندرك أو نتذكَّر إنما، دراسة الشعور نشعر به، نشعر بأننا نفكّر أو بأننا نحبذ أو بأننا نكره ... فماذا بقي من النفس بعد الشّعور؟ لا شيء إذن فالشّعور هو الخاصة الأساسية من خواصِّ النفس، وهو خاصة ملازمة لها طول الوقت، فلو درسنا أحوال الشّعور ومظاهرَه فقد درسنا النفس، فكل وظيفة تقوم بالشّعور إنما تقوم بالنفس، وبالعكس كلما يقوم بالنفس يقوم أيضًا بالشعور. وقد عكف علم النفس على دراسة الشّعور مدة طويلة، وفسَّر جميع الظواهر النفسية على أساس الشّعور حتى أواخر القرن الماضي حينما بدأ الباحثون في الطبّ النفسي يواجهون مظاهر وحالات توحي بأن في النفس طبقات عميقة لا يصل الشّعور إلى عمقها.

---

[1] محمد فؤاد جلال، مبادئ التحليل النفسي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص 37.

أما ما قبل الشعور فهو" يتضمن الآثار التي لا توجد في نطاق الشعور ولكن يمكن إدخالها إلى الشعور باسترجاع الخبرات الماضية "[1].

فما قبل الشعور يأتي مباشرة بعد الشعور، ويتمثل في تلك الأمور التي مر عليها الإنسان لكنها أقرب الى السطح منها إلى الأعماق، أي أنها تطفو على السطح من جديد.

تطرق كذلك فرويد في نظريته إلى " الحيل الدفاعية " التي تشير الى الدوافع اللاشعورية " ويمكن القول بأنها طرق وأساليب للتصرف تمكننا من حماية أنفسنا من أثر المواقف الصراعية التي لا يمكننا تحملها"[2].

ركّز فرويد كذلك على مرحلة الطفولة التي يرى أنها أصل كل المكبوتات والسلوكات، ويعتبر أن " اكتشاف الخبرات الجنسية التي مر بها الطفل تساعد على توضيح كيفية تكوين شخصيته "[3].

1.1 الشّعور واللاّشعور ودوره في الإبداع:

انطلق فرويد بالتمييز بين الشّعور واللاّشعور، بين الوعي واللاوعي، أو " اللاّشعور بين مستوى الحياة الباطنية واعتبار اللاّوعي أو اللاّشعور هو المخزن الخلفي غير الظاهر

[1] كامل محمد عويضة، مرجع سابق، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

للشخصية الانسانية"[1]، فسلوك الفرد يحمل خلفيات سلوكية لاشعورية مختبئة في الباطن تؤثر على السلوك وعلى الابداع الفردي معا.

يتجسد اللاّشعور في نظر فرويد في شكل " جنون "، وهي حالة نفسية يعانيها بعض الأفراد لدواعي معينة، كما يكون أيضا في شكل " إبداع " حيث تخرج هذه المكبوتات الجنسية عن طريق الفنّ والإبداع، وكذلك في شكل أحلام. لقد كان اهتمام فرويد " منصبا على تفسير الأحلام باعتبارها الطريقة التي تعبر بها الشخصية عن ذاتها، وتلتف حول قوانين الكبت والمنع الاجتماعيين "[2].

2- التحليل النفسي للنص: إن موضوع النقد النفساني (التحليل النفسي للنص) هو لاشعور النص، " هذا النص، منغلقا على نفسه ،يُبعد الكاتب...فكما أن الحلم هو حسب فرويد حارس النوم ، يمكننا القول أن النص هو حارس الاستيهام (التخييل)"[3]، تحليل النص حسب فرويد لن يكون ناجحا إلاّ إذا انطلقنا من خباياه وأعماقه بعيدا عن ظاهره السطحي، فالنص وحده من يكشف نفسه بنفسه، ولهذا يدعو فرويد لتحليل ودراسة النصوص

[1] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص67.

[3] جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، تر: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص 117.

انطلاقا من لاشعور النص بإخضاعها للدّراسة والتّفسير.

" النقد النفساني لا حظوظ له في الوصول إلى موضوعه الحقيقي إلا إذا انطلق من فرضية لا شعور النص"[1]، فالأدب إذن هو كتابات تحت تأثير اللاّوعي، وقراءة ودراسة هذا اللاّوعي يسمح بمنح النص بُعدا آخر.

د – مكونات الشخصية عند فرويد:

تتكوّن النّفس الإنسانية حسب فرويد من ثلاثة أجهزة رئيسية هي الأنا، الهو والأنا الأعلى، تعمل هذه الأجزاء أو الأجهزة الثلاثة على إشباع رغبات الإنسان الأساسية وإرضاء حاجياته، وأي اضطراب في أحد هذه الأجهزة يصبح الإنسان شاذا ومريضا نفسيا.

أ – **الهو(الهي):** كما اشرنا إليه قبلا" هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة ، وما هو ثابت في تركيب البدن. وهو يحوي على الغرائز التي تنبعث من البدن، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة "[2]، إنه جهاز نفسي يتكون من مجموع الرّواسب الجنسية في نفس الإنسان،" مضمونه كل ما هو موروث وكل ما يظهر عند الميلاد.

[1] جان بيلمان نويل، مرجع سابق، ص 117.

[2] سجموند فرويد، الأنا والهو، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، تر: الدكتور محمد العثمان نجاتي، بيروت، لبنان، ط 4، 1982، ص 16.

الهو يتألف أولا وقبل كل شيء من الميول الغريزية التي تصدر عن التنظيم الجسمي ونجد همنا أول تعبير تفسي عن ذاتها في صور نجهلها"[1]، فهو مكبوتات جنسية تختبئ في أعماق النفس البشرية لا تظهر إلا من خلال أعراض معينة على الشخص، وقد أطلق عليها فرويد اسم " الليبيدو ".

تكمن الوظيفة الوحيدة للهو في " تمكين انطلاق كميات الإثارة "الطاقة أو التوتر" التي يطلقها في الكائن... هذه الوظيفة ترضي المبدأ الأول أو البدائي للحياة الذي يطلق عليه فرويد اسم مبدأ اللذة "[2].

الهو يوفر اللذة للنفس البشرية، وهدف مبدأ اللّذة حسب فرويد هو تزويد الفرد بالطاقة اللازمة له وتخليصه من القلق والتوتر الذي يعاني منه، " يتمثل التخلص من التوتر في شكل لذة أو إشباع "[3]. إنه منبع الطاقة النفسية وقاعدة كل الغرائز، يرتبط ارتباطا وثيقا بالجسم أكثر منه بالعالم الخارجي ولا يتغير مع الزمن ولا يتعدل بالتجربة كونه لا يحتك بالعالم الخارجي، غير أن "الأنا "هو الذي يتحكم فيه وينظمه، كما أن الهو لا يخضع للقوانين أيا كانت سواء قوانين العقل أو المنطق " فالهو لا يملك قيما أخلاقية، إنما هو مُساق باعتبار الحصول على إشباع

[1] سجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي، جمعية القراءة للجميع ،2000، ص 26.

[2] كلفن هال، مرجع سابق، ص 25.

[3] المرجع نفسه، ص ص 25، 26.

للحاجات الغريزية بما يتفق ويتلائم مع مبدأ اللّذة "[1]، وعليه فإن الهو هو الواقع النفساني الحقيقي ، و"هو الواقع الذاتي الأول ، وهو العالم الباطني الذي يوجد قبل... تجربته الخارجي"[2]، فالهو إذن له وظيفة إرضاء وإشباع مبدأ اللذة بهدف تخفيف التوتر أو إزالته، إنه عالم باطني قبل أن يحتك الفرد بالعالم الخارجي، وفرويد يعتبر الهو الأساس الذي تبنى عليه الشخصية، ولا يطيق أي توتر إذ يبحث مباشرة على الإشباع السريع، فهو الناطق باسم القوى البيولوجية للفرد.

الهو لا يعترف بالممنوع أبدا، بل هو واقع يصنعه الفرد بنفسه بعيدا عن الواقع الحقيقي الذي يحيط به، وله هدف وحيد هو إشباع الرغبات وتحقيق اللّذة وتجنب الألم.

" الهو مُطالِبٌ مندفع، لا يخضع لمنطق العقل، نَفور من المجتمع، أناني، عاشق للّذة. هو الطفل المدلّل الكامن في الشخصية. عارم القوة، فلديه العصا السحرية التي يستطيع بها إشباع رغباته بالخيال، وبالمخيلة وبالهلوسة "[3]، وحسب فرويد يصعب معرفته إذ يمتاز بخاصية الاستتار والتّخفي، إنه جانب غامض في شخصية الفرد "الجانب الغامض من الشخصية الذي لا سبيل للوصول إليه والقليل الذي نعرفه تعلمناه من دراسة الأحلام ومن

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص 30.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

الأعراض العصابية "[1].

يعتبر فرويد أن "**الأحلام**" هي إحدى طرق تجلي الهو إلى جانب انفعالات الشخص، فما يفعله الشخص من أمور خارج القوانين الاجتماعية والعرفية والأخلاقية يكون حسب فرويد بفعل الهو وسيطرته على الفرد، الهو لا يعترف بالممنوع والحرام وغيره إنما هو سعي من الفرد فقط لتحقيق رغباته وإشباعها وتحقيق اللذة، " نرى الهو في عمله حيثما أدى الشخص عملا اندفاعيا. فالشخص الذي يفعل بناءً على دافع لقذف طوبة من النافذة أو يغتصب امرأة إنما يخضع لسيطرة الهو "[2].

الهو مكبوتات جنسية ورغبات غريزية مدفونة في أعماق النفس تظهر في شكل سلوكات ومظاهر منها الأحلام والإبداع والجنون على حدّ قول فرويد، الهو لا يقمعه لا دين ولا أخلاق ولا مجتمع ولا عقل " إن الهو لا يفكر "الهو" يرغب أو يعمل فقط "[3]، فلا يعترف بالممنوع، هو واقع يصنعه الفرد بعيدا عن الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه، إنه مطالب مندفع " لا يخضع لمنطق العقل، نفور من المجتمع، أناني، عاشق للذة. هو الطفل المدلل الكامن في الشخصية. وهو عارم القوة، فلديه العصا السحرية التي يستطيع بها إشباع رغباته

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص31.

بالخيال، وبالمخيلة وبالهلوسة والأحلام "[1].

الأحلام: لها صلة وثيقة باللّاشعور، والتعمّق في محتوى الأحلام يكشف عن مكنونات اللاّشعور ومحتوياته الخفية، " اللاّشعور كما علمنا زاخر بالنّزاعات والرغبات المكبوتة التي تكدح في سبيل الإشباع، وهذه النزعات... لا تجد السّبيل هيّنا، فتحتال على الظهور متخفية مقنّعة، في صور شائهة تخفي مظاهرها وإن كانت تبطن معانيها. وساعات النوم من تلك الأوقات التي يغفل فيها الرقيب نوعا ما، لأن الشعور يصبح في حالة خمول...فتنتهز الرغبات فرصة الغفلة وتترى زرافات ووحدانا تريد ان تظهر في الشعور لتعبر عن نفسها "[2] فتظهر هذه الرغبات المكبوتة في الإنسان في صور مزيفة وغامضة لأن الشّعور ليس خاملا تماما بل له نوع من اليقظة ولهذا تبدو الأحلام غامضة ومزيفة وغريبة، بعيدة عن المنطق لأنها ضد المنطق والمألوف.

حسب فرويد فالحلم مضمون ظاهر وهو المحتوى السطحي للحلم، و "مضمون كامن" يتمثل في الدوافع الحقيقية للحلم "ويحدث هذا عن طريق "الرمز". فالشخص الذي يرد في حلم لا يجب أن يُؤخذ على علاته، فقد يكون رمزا لشخص آخر "[3]، فما يحدث في الأحلام

[1] محمد فؤاد جلال، مبادئ التحليل النفسي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2018، ص 110.

[2] المرجع نفسه، ص 111.

[3] المرجع نفسه، ص 111.

لا يعني فقط ما يحدث في ظاهرها بل يعني أيضا ما يشير إليه باطنها عن طريق الرموز.

ففيما يتعلق بالعلاقات الموجودة بين المحتوى الكامن للحلم ومحتواه الظاهر يقسمها فرويد إلى ثلاثة فئات:

- " في المقام الأول: نضع الأحلام الواضحة المعقولة الّتي يظهر أنها تنبثق مباشرة من حياتنا النفسية الواعية، هذه الأحلام تحدث دائما. هي مقتصرة ولا تهمنا تماما لأن لا شيء فيها يدهشنا أو يثير خيالنا.
- في المقام الثاني: عندنا مجموعة الأحلام المعقولة في معناها الجدّ واضح الذي لا يترك مجالا لإثارة دهشتنا أو مخاوفنا لأن لا شيء في الواقع يبرّر هذه المخاوف... فمثلا رؤية حلم لأب عزيز علينا وهو يموت بسبب الطاعون ونحن ليس لدينا أي سبب لفهمه، فنتساءل مندهشين: "من أين يمكن أن تكون قد جاءتني هذه الفكرة؟ "
- والمجموعة الثالثة تحتوي على الأحلام التي تكون ناقصة المعنى والوضوح في نفس الوقت، والّتي تكون غامضة غير منسجمة وغير منطقية ".[1]

[1] FREUD Sigmund, Le rêve et son interprétation: traduction de l'Allemand par Hélène Legros 1925, éditions Berri, Bejaïa, 2016, pp 20,21,22.

ب- الأنا : " يسيطر الأنا على الحركات الإرادية .. كما يقوم بمهمة حفظ الذات "[1]، وهو الجهاز الثاني عند فرويد، عبارة عن كل ما يرغبه الإنسان ويريده في الواقع من أكل وشرب وترفيه وغيره. " يحكم الأنا مبدأ الواقع بدلا من مبدأ اللّذة. والواقع يعني ما هو موجود بالفعل"[2]، فالجائع والعطشان لن يحصل على الطعام والماء من مجرد الرغبة والأفعال الناتجة عن الكمون فالجائع لن يحصل على طعامه أو شرابه بفضل الرغبات الجنسية المكبوتة. بل عليه فعلا البحث عن طعام وشراب في الواقع، " وهذا لا يعني التخلي عن مبدأ اللذة وإنما يعلق مبدأ اللذة مؤقتا من أجل مبدأ الواقع. "[3].

الشخص إذن عليه تحمل رغباته وألم حرمانه من اللذة ونقصها من أجل الواقع، وهذا يعني أنه في مرتبة ثانية بعد الهو، إذ أن إخراج الرغبات إلى الواقع تنجزها العملية الثانية وهي " الأنا " بواسطة العمل والتفكير في كيفية حل هذه المشكلة " ويتولى خدمة مبدأ الواقع فالأنا له وظيفة خدمة الواقع ومواجهته معًا ومعايشته أيضا، إلّا أنه حسب فرويد له وظيفة أخرى وهي مشابِهة لوظيفة الهو.

[1] سجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، مرجع سابق، ص 26.

[2] كلفن هال، مرجع سابق، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص 33.

كما أن " هذه العملية التي ينهض بها الأنا تختلف عن العملية الأولى لأنها تميز بين الخيال والواقع ...والخيالات التي يولدها "الأنا" معروفة على وضعها أنها تخييلات للتسرية واللذة "[1].

فالانا يميز بين الواقع والخيال عن طريق الأحلام والإبداع، فالأنا يتولد عن طريق التفاعل مع البيئة، وكذلك من الوراثة التي ترشده وتوجهه. عملية يسميها فرويد بالعملية الثانية، ذلك لأنها تنمو عقب العملية الأولى الخاصة بالهو. "[2]

ج – **الأنا الأعلى (الضّمير)** : الجهاز الثالث من أجهزة الشخصية هو "الأنا الأعلى"، وهو كل حاجز أو عائق يحول دون تحقيق رغبات الإنسان، فيمنعه من تحقيق أناه، ويتمثل في جوانب مختلفة من دين، عادات وتقاليد، أعراف وأخلاق وغيرها، فهو " ذلك الجانب الأخلاقي القضائي من جوانب الشخصية، وهو أقرب إلى تمثيل المثالي منه الى تمثيل واقعي .هو ساع من أجل الكمال أشدّ منه ساعيا من أجل الواقع و اللّذة "[3] ، فالأنا الأعلى يعتبر بمثابة الرقيب على الفرد، هو ذلك القانون الأخلاقي في الإنسان وكل ما يورثه الوالدان للطفل من خلال التربية على سلوكات معينة توافق مجتمعهم و كذا رغبات الوالدين ، فيتحلى الطفل بالسلوك الذي كبُر عليه ويعمل على إرضاء المجتمع ووالديه به.

" هو القانون الأخلاقي للإنسان، وهو ينشأ من الأنا كنتيجة لتشبيه الطفل بالمقاييس التي

---

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] المرجع نفسه، ص 35.

يقيس بها والده ما هو خير، وما هو شرّ، ما هو أفضل، وما هو راذل "[1]، فمعاقبة الوالدين للطفل مثلا لسوء نظافته أو كذبه أو غيره يجعل ذلك الطفل يعتبر الوسخ والكذب من الأفعال السيئة بفعل ضميره، فالأنا الأعلى يفرض قواعده بالعقوبات والمجازات على "الأنا" كونه هو الذي يشرف على أفعال الإنسان ، فالأنا الأعلى قد يكون الوالدان، العائلة، القرية، المجتمع وغير ذلك، " تتكون في الأنا منظمة خاصة يمتد فيها تأثير الوالدين... ويُطلق عليها اسم الأنا الأعلى "[2]، وبالتالي فالانا الأعلى هو مجموع القيم والمثل العليا في المجتمع التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

الأنا الأعلى بهذا يأتي ليقوم بدور وغرض هو ضبط وتنظيم الدوافع التي تصدر من "الهو" وضبط " تلك الدوافع التي يؤدي إفلاتها من كل ضابط إلى تعريض استقرار المجتمع للخطر. هذه الدوافع هي الجنس والاعتداء "[3]، فالانا يدعو لاحترام القانون ويحارب الفوضى الناتجة عن اختراق هذه القوانين فهو إذن نتاج للتنشئة الاجتماعية للفرد.

1 - الطفولة ودورها في تفسير الحياة النفسية للإنسان:

ركّز فرويد كذلك على مرحلة طفولة الإنسان واعتبرها أصل كل العقد النفسية للفرد، فبعض الحالات النفسية تعود جذورها إلى مرحلة الطفولة حيث يتحكم المجتمع في الطفل

[1] كلفن هال، مرجع سابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

[3] المرجع نفسه، ص 39.

ويُلزمه بقوانينه الجائرة " بامتصاص الطفل للأعراف الاجتماعية وبتمثله للأوامر والنواهي الاجتماعية يتكون الضمير أو "الأنا الأعلى"[1].

ما يعيشه الإنسان في مرحلة الطفولة يؤثر على تطوره النفسي والعقلي، إنها مرحلة حساسة جدا في تكوين شخصية الإنسان، " فالطفل كائن عاطفي ذو دوافع حسية "[2]، وما يعانيه الفرد من عقد نفسية وحالات مرضية تعود أساسا حسب فرويد إلى ما تعرض له وهو طفل "من قبل الراشدين وانطلاقا من ذلك أدان فرويد الاستغلال العائلي "[3]. لقد طالب فرويد بالربط بين الإنتاج الفني والأدبي من جهة وبين التاريخ الشخصي للشخصية الأدبية المبدعة أو الشخصية الهِوائية من جهة أخرى، فسيرة حياة الشخصية تمثل خبرات متراكمة لديها منذ سنّ الطفولة الباكر، ويرى فرويد أن كل العقد النفسية هي تتشكل في مرحلة الطفولة " وكما هو معروف في مناهج التحليل النفسي فإن أشد الفترات حسما في توجيه سلوك الإنسان في المستقبل طيلة عمره هي سنوات الطفولة...السنوات الأولى في حياته، حيث تتكون استجاباته ومشاعره، وتوتراته...واستراتيجية مواقفه في الحياة "[4]. فأصل العقد النفسية مرحلة الطفولة التي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار أثناء تحليله لأي انتاج فنّي، فالطفولة هي منطقة تعجّ

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص ص 19، 20.

[2] إريك فيروم، مرجع سابق، ص 50.

[3] المرجع نفسه، ص 51.

[4] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 69.

بالرموز ومواقفه العاطفية والوجدانية المكبوتة. ولذلك أي إنتاج أدبي لن يكتمل تحليله النفسي دون الغوص في أعماق طفولة المبدع.

إن هذه الأجهزة الثلاثة "الأنا"، "الهو"، "الأنا الاعلى" هي أجهزة تقوم بعمليات ووظائف مختلفة قائمة في الشخصية تتفاعل فيما بينها على طول حياة الفرد. إن الفرد بهذا بين سندان جهازين : الأنا الذي يمثل مبدأ الواقع وله رغبات واقعية، وبين الهو الذي يقف عائقا في وجه رغبات الأنا فيكبحها ويوقفها من خلال انصياع الطفل للأعراف الاجتماعية والأوامر والنّواهي الاجتماعية، فينشأ عنده ما يسمى "الضمير" أو "الأنا الأعلى" ، وهنا يتدخل الأنا لتحقيق التوازن بين الأنا الأعلى والهو والواقع، فيحقق التوازن بين مطالب الفرد الغريزية اللّيبيدية وضغوط الأنا الأعلى وذلك باستخدام حيل دفاعية " التي تمثل الدّرع الواقي ضدّ الصراعات الحادّة بين المطالب الصريحة للرّغبات الحيوانية لدى الإنسان والضمير الذي نما أثناء تربية الطفل "[1] .

ولتحقيق توازن نفسي يلجأ الفرد إلى حيل دفاعية لاشعورية.

2 -**الحيل الدّفاعية:** هي سلوكات تصدر من الفرد من شأنها التوفيق وإحداث التوافق بين رغبات الهو المكبوتة ونواهي الأنا الأعلى المتمثلة في ضمير الفرد.

ومن هذه الحيل الدفاعية اللاّشعورية نجد:

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص ص 19،20.

أ- "**التعويض:** يحدث التعويض عندما يستبدل الفرد أسلوب التعبير عن أحد الدوافع بأسلوب آخر غير مباشر، فالفتاة التي لا تتمتع بقدر مناسب من الجمال قد تعوّض عن ذلك بالتفوق الدراسي "[1]. فكثيرا ما نجد شخصا يعاني نقصا إمّا جسديا أو علميا أو غيره، يعوضه بكفاءة أخرى يبرز فيها وينجح، فكم من مُعاق جسديا أثبت نفسه في مجال الفن أو الرسم أو غيره. "هو جهد لنفي العقدة بإنماء جهاز سلوك على المواقف نفسها وهذا الجهاز هو عكس الجهاز المعقد "[2].

ب- " **التوحد:**... عندما يتصور الفرد نفسه على أن شخصا آخر معجب به، فعند مشاهدة فيلم ...فإننا نتوحد مع بعض الممثلين... و...يحاول الأطفال تقليد والديهم "[3]. فكثيرا ما يُعجب الشخص ببطل روائي أو بطل فيلم شاهده على التلفاز ويعجب به لدرجة يتصور فيها نفسه ويوهم أنه ذلك البطل.

ج- " **النّكوص:** ...عندما يسلك الفرد سلوكا يميز المراحل المبكرة للنمو وحتى بين الراشدين من الممكن أن نجد بعض الأفراد الّذين يلجؤون إلى البكاء والصّراخ وضرب الأرض بأقدامهم ...كمحاولة للتغلب على المشكلة أو موقف يواجههم ويمكن تفسير ذلك بناءً

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص 20.

[2] روجيه موكالي، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1، 1988، ص 64.

[3] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص 20.

على أن هذه الأساليب السلوكية سبق نجاحها في تحقيق رغباتهم في الطفولة لذلك يلجؤون لاستخدامها في الرشد "[1].

د-"**الإعلاء:** عندما يعاق تحقيق رغبة الفرد فإنه قد يلجأ الى أن يسلك سلوكا مماثلا ولكن في اتجاه آخر حتى يشيع هذه الرغبة، فعندما يفشل الطالب في أن يكون طبيبا فإنه يلجأ إلى إعلاء رغبته بالعمل في مجالات أخرى مساعدة للطب (كالتمريض، العلاج الطبيعي، الصيدلة...)"[2].

هـ-"**الإسقاط:** وهو إلصاق رغبات الفرد وعيوبه بالآخرين، فأحيانا قد تدّعي الفتاة أن الشبان يُراقبونها وهي في الحقيقة تعبّر عن رغبتها هي لا عن حقيقة واقعة."

و-"**التبرير:** مثال لخداع النفس إذ نحاول إيجاد أعذار لنواحي قصورنا كالقول بأن المذاكرة الكثيرة تؤذي العينين حين لا تكون مغرقا بالقراءة "[3].

ي-**الكبت:** مثال آخر للحيل الشعورية، ويقصد بها الإقصاء المتعمد بسبب عوامل الكفّ

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

[3] المرجع نفسه، ص 21.

الاجتماعي للقوى اللّيبيدية التي تسعى إلى الإشباع. والدوافع المكبوتة لا تختفي تماما لكنها تظلّ كآثار في اللّاشعور تؤثر على الأفراد عند مواجهتهم بعض المواقف غير السارة"[1].

المبحث الثاني: علاقة التحليل النفسي بالأدب

علم النفس والتحليل النفسي له علاقة وطيدة بالأدب كون كلاهما يحلّل الإنسان بعواطفه وأحاسيسه. وقد بين فرويد نفسه العلاقة بين علم النفس والتحليل النفسي عندما قال " يندرج التحليل النفسي في مجال علم النفس، لا علم النفس الطبي بالمعنى القديم ولا علم النفس الخاص بالعمليات المرضية، ولكن علم النفس فحسب، ومن المؤكد أنه لا يشمل علم النفس كله، بيد أنه أساسه وربما كان دعامته الكاملة "[2]، وهو حديث عن التحليل النفسي كنظرية في الشخصية، يعالج الاضطرابات النفسية الأفراد بطرق لها علاقة بجوانب علمية ونظرية وتابعة لها.

فعلم النفس الفرويدي مذهب نظري في علم النفس بينما التحليل النفسي هو منهج من مناهج العلاج النفسي.

يرى فرويد أن منهج التحليل النفسي إذن يقوم على " الملاحظة الواعية للعمليات النفسية غير السوية لدى إنسان آخر، ليمكن لنا أن نبرز قوانينها وأن نصوغها. أما الروائي

[1] الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، مرجع سابق، ص21.

[2] كلفن هال، مرجع سابق، ص ص 21، 22.

فهو يسلك غير مسلكنا، إنه يركز انتباهه على لاشعوره نفسه بالذات، ويصيغ السمع لكل قواه المضمرة ويمنحها التعبير الفني بدل ان يكتبها بالنقد الواعي "[1]، فالإبداع الأدبي بالنسبة لفرويد يقوم على اللاشعور ومكبوتات المبدع الروائية تندمج في أعماله الفنية، إذ أن الأديب يبدع وهو في حالة خضوع تام للاوعيه الذي يتجاوز كل القوانين والقيم الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية وغيرها بفضل حنكته وذكائه، "فبفضل قوة احمال ذكائه، تأتي هذه القوانين مندمجة في إبداعاته "[2].

"الإبداع الأدبي في جوهره إنما هو مظهر من مظاهر وصول التوتر في نفس المبدع ذروته وعدم قدرته على التكيف مع الجماعة بعد ذلك، مما يتجلى في الخلق الفني والأدبي"[3]. فالنصّ الأدبي المبدع إنما هو ثمرة حالة نفسية يعيشها المبدع، وبالتالي تحليل أي نص أدبي يجب أن يخضع لمعارف قبلية للشخص المبدع، فبعض الحالات كالعبقرية والجنون تساهم في بعض حالات الإبداع، مما ينتج عنه ضرورة دراسة الإبداع الأدبي نفسيا عن طريق التحليل النفسي للأدب. فالعلاقة بين الأدب والنفس لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ولا تحتاج إلى إثبات. " إن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس. النفس تجمع

[1] سجموند فرويد، الهذيان والأحلام في غراديفا، لجنسن، تر: نبيل أبة صعب، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، 1971، ص 242.

[2] المرجع نفسه، ص 242.

[3] عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط 4، ص05.

أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يُضيئ جوانب النفس"[1]، الأدب والنفس أو النفس والأدب، علاقة وجهين لا يمكن فصلهما، إذ النفس تجعل من تجارب الحياة مادة للأدب فيتشكل الأدب، وكذلك الأدب يتسرب إلى أعماق النفس فيُنيرها، فيصنع بذلك تلك فهما مترابطان ومتكاملان كلّ منهما يصنع الآخر.

" وحقيقة هذه العلاقة ليست شيئا مستكشفا للإنسان الحديث، لأنها كانت قائمة منذ عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه "[2]، ولهذا راح الأُدباء والعلماء يحاولون شرح العلاقة بين النفس والأدب واكتشاف هذه العلاقة، وهي علاقة تجلت منذ القديم في نظرية التطهير لأرسطو الذي شرح كيف تؤثر المأساة في الجمهور، أي كيف يؤثر نص إبداعي على الفرد المتلقي.

أما عند العرب فقد انتبه الكثير من النقاد والبلاغيين إلى العلاقة بين الأدب والنفس بحيث " أحسّوا بتأثير الأدب في النفس وإثارة ألوان عدّة من المشاعر.

غير أن كتابات هؤلاء لم تتجاوز مرحلة الإحساس المبهم إلى الشرح الموضوعي. فلم يحدّدوا معالم التجربة الفنية، كما لم يشرحوا لماذا تتأثر النفس بهذا العمل الأدبي أو ذاك شرحا

[1] عزالدين اسماعيل، مرجع سابق، ص05.

[2] المرجع نفسه، ص 05.

علميا موضوعيا "[1]. فقد أحسّ الأدباء العرب بأثر الأدب على النفس في إثارة مشاعرها، غير أنها لم تتطور للشرح الموضوعي لكيفية هذا التأثير وأسبابه.

" إن علم النفس والأدب يتناولان موضوعات واحدة، أعني الخيال والأفكار والعواطف والمشاعر، وبالرغم من ذلك لم يظفر علم النفس الأدبي إلا بقدر ضئيل من الدراسة الى عهد قريب جدا..."[2]، فكلاهما يتطرقان لمواضيع مشتركة بل ونفسها، فيتناولان الخيال والمشاعر والأحاسيس البشرية " فقد كان فرويد هو الذي استهل الطريقة الجديدة في تحليل الفن (والأدب) في رسالتيه عن ليوناردو دوفانشي وهولدر لين "[3]. وهنا يجدر التذكير أن الدراسات النفسية للأعمال الأدبية تختلف من حيث طريقة التناول " بعض الدراسات تتجه إلى الأعمال الإبداعية ذاتها فظهر إلى جانب دراسة الأفراد كمية من الكتابات ...تتناول النتاج حسب ما يفسره التحليل النفسي"[4]، فقد كان فرويد السبّاق لدراسة الفن والأدب دراسة تحليلية نفسية.

فالأدب إذن له علاقة وطيدة بعلم النفس و " الحدث الأدبي لا يحيا إلا إذا انطوى في نفسه على جزء من انعدام الوعي أو من اللاّوعي نفسه "[5].

---

[1] عزالدين اسماعيل، مرجع سابق، ص ص 5 ،6.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص12.

[4] المرجع نفسه، ص13.

[5] جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، مرجع سابق، ص 09.

فالأدب على حدّ تعبير فرويد جزء من لاوعي الانسان، فالإرادة غير مُطلقة كونها تفلت من مراقبة الوعي، فهناك أشياء في داخلنا توجّه أفعالنا وأفكارنا دون أن نعلم بذلك، ولهذا يسعى التحليل النفسي لكشف هذه الاعماق وهذا اللاّوعي الذي يسير سلوك الإنسان. " وبما أن الأدب يحتوي في دواخله على شيء من اللاّشعور فإننا سنُجذب إلى التقريب بينهما إلى حدّ المزج. إن مجموع الآثار الأدبية تقدم وجهة نظر واقع الإنسان ووسطه"[1]، فالأدب صورة عن لاشعور النفس وهو جزء من إنسانيتها التي تتكلم عن جزء من أعماقنا، إنه خطاب خاص بعيد عن مجرّد نقل الواقع الحاضر أو الماضي، وفي نفس الوقت بعيد عن الواقع، مزيّف، وهذا ما يصنع سحره وجماله. ويقوم التحليل النفسي بالغوص في هذه العناصر التي تختلف عن الواقع تماما وتتناقض معه من خلال التركيز على لاشعور المبدع، يقول لاكان " إن اللاّوعي هو خطاب الآخر ".

إن صلة علم النفس بالأدب والرواية تعود جذوره إلى ظهور الفلسفة، فلسفة أفلاطون وأرسطو وموقفهم من الأدب والفن مثل نظرية التطهير" ويستمر الاهتمام بالجانب النفسي للأدب حتى مجموعة من العلماء، الّذين ساروا على نهج هؤلاء الفلاسفة لكن بتطور...أمثال بوالو وهيجل وكانط وشوبنهاور وبرحبوث وكروتشه "[2] حيث سار الكثير من الفلاسفة نفس اتجاه أرسطو وأفلاطون، فطوّروا نظريات تهتم بالجانب النفسي للإنسان بُغية الكشف

[1] جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، مرجع سابق، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

عن دواخله وانفعالاته. " أصبحت فيما بعد مرجعا لكثير من الدراسات التي تهتم بالجانب النفسي للإنسان"[1]

لقد اعتبر فرويد الأدب والفن تعبيرا عن اللاّوعي الفردي تظهر فيه تفاعلات الذات وصراعاتها الدّاخلية وذلك عندما تحدّث عن الحلم وتحدث عن خصائص الحلم التي يرى أنها تتمثل في التكثيف، الإزاحة والرمز.

1- أهمية الشخصية في الرّواية:

بالنسبة للشخصية في الرواية فكما في واقع أي شخصية فإن " الشخصية فيها تُشكِل بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها، أو تجاوز مركزيتها، فالرواية أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية "[2]، فالرواية تقوم أساسا على الشخصيات، بل الشخصية هي مركز الروايات التي لا تقوم سوى عليها. جورج لوكاتش يعتبرها "شخصية إشكالية"، بحيث تتعامل مع مشكلة بمواجهتها أو الهروب منها، فتنتصر أمام الصعوبات أو تنهزم أمامها وهو ما يصنع مُتعة القراءة بحيث يشعر القارئ أنه في مركز المشكلة التي تواجه هذه الشخصيات، وصارت مشكلات الأبطال هي مشكلته أيضا. والسرد في الرواية يختلف رُؤاه رؤية من الداخل، رؤية من الخارج، رؤية مع ...الخ، فقد تقدم الشخصية نفسها في الرواية عن طريق ضمير المتكلم

[1] إياد جوهر عبد الله، مرجع سابق، ص 02.

[2] صلاح صالح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، مرجع سابق، 2003، ص 101.

" أنا" وله ايجابيات ومعاني كثيرة، فالسرد بضمير المتكلم يقرّب الشخصية للقارئ ويمكنه من التعمّق في باطنها ومعرفة الكثير عن دواخلها ونفسيتها، إن تقديم الشخصية النفسية لنفسها بنفسها له عدة إيجابيات حيث يساعدنا على تحليلها أكثر ويقرّب لنا ماضيها وحاضرها، ويسهّل كشف أعماقها النفسية بحيث تتجلى لنا مشاعره وأحاسيسه العميقة.

الشخصية كل متكامل، عندما ندرسها يجب أن ندرسها من كل جوانبها المحيطة بها الاجتماعية والثقافية وحتى في ظل هيئة جسدية تتكون منها، في ظل نفسية مت تسودها، إنها كلّ وليست جزءا بالنسبة للمجتمع ...إنها تمثل أعلى مكان في سلّم القيم، غير أن قيمتها العُليا تفرض مضمونا كافيا يتجاوزها "[1]، فقيمتها تكمن في مضمونها المتكامل.

2- العقد النفسية للشخصية:

" يعتبر المحلل النفسي السويسري الشهير "كارل جوستاف يونغ"... المكتشف الأول لكلمة "عقدة "[2]، إلا أن البحث الذي يخص العقد ومعناها كان قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي، ويميز يونغ بين عدة أنواع من العقد "العقد الطبيعية "، "العقد الطارئة " و "العقد المستمرة"[3].

[1] صلاح صالح، مرجع سابق، ص 101.

[2] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

وكلمة عقدة لها استخدامات شعبية عامة، فتعني العقد النفسية عند أدلر " عقدة النقص " حيث يعتبر أدلر أول من وظفها وتحدث عنها ...

يعرف يونغ العقدة النفسية بعدة تعريفات كذلك صنفها لعدة أنواع، فيرى أن " العقد النفسية هي إحدى المظاهر الحية للنفس "[1].

أ - تعريف العقدة النفسية:

العقد تعيش في داخلنا و جزء منّا لكن قلما نعلم أننا نملك عقدا إلا إذا بلغ الأمر بنا حالة من الكبت القوي الذي يجعلنا نعي حالنا أننا لا نستطيع التصرف كما نريد، " تتمتع العقد باستقلالية مميزة، تشبه مخلوقات مستقلة تحيا حياة طفيلية داخل أنفسنا "[2] لأننا قليلا ما نشعر بها فهي موضوعة في أعماقنا وهي سلوكات حاضرة بشكل دائم، " العقدة هي جزء من الشخصية تمتلك مركب متميز وذاكرة خاصة ...وعي مجزأ... نفس مجزأة "[3] وتتميز العقدة عن العادة كقضم الظافر التدخين...الخ إلاّ أنها يمكن أن تكون ناتجة عن عقد نفسية، فالعقد إذن تظهر لمّا يواجه الشخص موقفا معينا تكون في شكل ردة فعل سلوكية وعاطفية،

[1] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 33.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3] المرجع نفسه، 46.

فالشخص المعقّد " لا يستطيع أن يتحمل أقلّ لوم أو أقل مُزاح "[1]، فهي نوع من "التصرف الآلي للاستجابة "[2] على موقف معين تعرض له الشخص المعقد "لكنها تحمل شحنة عاطفية انفعالية قوية "[3] .

العقد قد تكون نتيجة لصدمات نفسية عاطفيه تؤدي للانعزال والابتعاد عن الأهل كالتعرض لحادثة اغتصاب في الصغر مثلا، أو نتيجة لأجواء نفسية مضطربة نتيجة أجواء مُعاشة لمدة طويلة من الزمن تنعكس على السلوك (مثل صدامات عائلية لسبب من الاسباب بسبب الدراهم مثلا أو تدليل مفرط للطفل...وغيرها.

بودوين يقول أن العقد النفسية هي " العقد هي الوحدات الحية للنفس اللاّواعية "[4] ويقول كذلك أنها حالة نفسية قد تدمر الفرد " العقد هي طفيليات مدمرة، أو التهابات أو ورم خبيث تتولد دون معرفة الوعي"[5]، فاعقد تجعلنا مرضى، إنها تقيدنا وتتحكم فينا لا إراديا فتجعل منا مجبرين مسيّرين ومرضى. هذه العقد أو كما يسميها أدلر "ثوابت شكلية للسلوك" يمكن أن

[1] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 47.

[3] المرجع نفسه، ص 47.

[4] المرجع نفسه، ص 34.

[5] المرجع نفسه، ص 34.

تكون" دفاعية " كما سبق أن ذكرنا عند فرويد عندما تحاول تجنب موقف لا يُطاق يعيشه الفرد نتيجة موقف معين رغب فيه وأراده.

يمكننا إذن **تعريف العقدة** " كجهاز انفعالي – سلوكي ذاتي استجابة للمواقف النموذجية " غير المندمجة مع الأنا في العقد غير المعوّضة ومندمجة مرضيا مع الأنا في الأشكال الناتجة عن الدفاعات الذاتية الناجحة. "[1]. ونجد فرويد إذن قد درس العقد النفسية عند الإنسان وركز في ذلك على الأعمال الأدبية والفنية، حيث لجأ فرويد إلى ربط الظواهر الأدبية بظواهر نفسية مرضية كانفصام الشخصية وغيرها، فيعتبر الأدب حالة مرضية شاذة يجب دراستها وتحليلها، وقام بتسمية بعض الظواهر والعقد النفسية بأسماء شخصيات أدبية منها عقدة أوديب، عقدة إلكترا، وغيرها.

ب – أنواع بعض العقد النفسية:

1 – عقدة أوديب:

" لجأ فرويد إلى تاريخ الأدب يستمد منه كثيرا من مقولاته ومصطلحاته في التحليل النفسي، فسمى بعض الظواهر النفسية بأسماء شخصيات أدبية ...كما لجأ إلى تحليل بعض

[1] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 5.

اللّوحات الفنية التشكيلية، وبعض الأعمال الأدبية والشعرية ...للتدليل على نظرياته في التحليل النفسي، وفي العلاقة بين الشعور واللاشعور وفي القوانين التي تحكم هذه العلاقة"[1].

" اعتبر فرويد أن هانز كان أوديبيا صغيرا، فهو يبدي رغبة قوية في البقاء إلى جانب أمه في السرير، وفي الذهاب معها إلى المرحاض، وهو بالمقابل يرى في والده منافسا "[2]. وعليه اعتبر فرويد أن أساس عقدة أوديب تكمن في " رغبة الطفل المحرّمة اتجاه أمه. يعتقد فرويد أن هذه الرغبات داخلية وليست نتيجة الإغواء الأمومي "[3]، فقد فسّر عقد أو قصة أوديب بشكل آخر بعيدا عن السياقات الخارجية، فهو يقف موقفا وسطا بين ما يكتبه وما يُظهره مؤلف تراجيدي وبين ما يمكن لنا إدراكه من خلال اللاّشعور والبنيات اللاّشعورية والغرائز الجنسية التي تتجلى فيه رغم رقابة الأنا والأنا الأعلى.

عقدة أوديب باختصار إذن هي عقدة امتلاك لأحد الأهل"...من المهم أن ننتبه ونحن نقف على خطورة الخطأ الذي ارتكبه " عن لاوعي " لأن وحي الآلهة ليس أوضح من العرض إلى كونه لم يذهب إلى حدّ الانتحار أو الحُكم على نفسه بالسجن مدى الحياة بواسطة سفود مسروق من جوكاست فقأ عينيه لكي يُعاقب نفسه هناك حيث ارتكب اثما... فهو يُخصي نفسه لكن رمزيا بقلب إشارات الجريمة نفسها. بما أن شيئا ما من الأم – الزوجة

[1] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص 85.

[3] المرجع نفسه، ص 85.

هو الذي أصابه في ذلك الموضع الأكثر حيوية فيه "بؤبؤ عينيه" والذي عن طريقه اشتهى مفاتنها الأنثوية "[1]، فأوديب الملك تزوج من أمه عن جهل للأمر، ولمّا اكتشف الأمر فقأ عينه، فأوديب الملك تزوج من أمه عن جهل للأمر، ولمّا اكتشف الأمر فقأ عينه.

فرويد يدرس العمل الأدبي بطريقة تحليلية وليس تأويلية، حيث أخضع أسطورة أوديب لقراءة تفسيرية تحليلية بعيدا عن الإيديولوجيا والسياقات الخارجية. فرويد يقرأ ما هو داخل العمل الأدبي كونه يكشف نشاطا إنسانيا، والنص الأدبي في نظره ما هو إلا نتيجة لهذا النشاط، فالإنسان يكتب عن أشياء فيه لكنه يجهلها والنص هو رموز ينبغي فكها.

2 – **عقدة النقص:** " إن عقدة النقص هي التأكيد الصادق بأن الشخص ليس على المستوى المطلوب ب بأنه غير كفؤ وبأنه محكوم عليه هكذا، أو بأنه شخص يُهزأ منه أو أنه مجال للسخرية "[2] والشخص هنا إذن يصبح خجولا خائفا من مواجهة الجماعة، فيظهر ذلك في طريقة لباسه ومشيه وغيرها، فيلجأ إلى التخفّي والانعزال، يحتقر قدراته وإنجازاته ويعتبرها غير جديرة بالذِّكر، لكنه في المقابل يعظّم الآخرين ويرفع من شأنهم.

فهي عقدة تقوم على مرتكز الفروق الفردية الفيزيائية الجسدية مثل العاهات الجسدية التي تخيف أو تنفّر الآخر.

[1] جان بيلمان نويل، مرجع سابق، ص ص 16،17.

[2] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 100.

عقدة النقص تكون في شكلها التعويضي في السعي لإقامة توازن حيث تحول الشخصية ضعفها الجسدي إلى قوة في مجال آخر فيصبح قويا بالأفكار والمواضيع والعطاء الفني والفكري "فالضعيف البنية يصبح قويا بالمواضيع، في حين ينمّي الضعف الذهني القوى الجسدية أو العطاء الفني"[1]، إنها تعوض بتحقيق النجاح في جوانب حياتية أخرى.

هذه العقدة تجعل الشخص يشعر بنقصه، "حيث يحس إثرها بالنقص بالنسبة للآخرين ليس على المستوى اللاّزم لمهماته و مشاريعه، يصبح خجولا بسرعة، فيحاول أن يظهر "صغيرا جدا " ويستقر في إحدى الزوايا، متأكدا من أنه سيصبح مجالا للسخرية أو عدم اعتبار"[2]، فيزداد الخجل والشعور بالنقص في مواقف يتعرض لها الشخص فيسيطر شعور النقص على السلوك العاطفي للفرد، ويتألم الأنا رمن أنه يعرف جيدا أن الآخرين ليسوا أقل منه بل انه متساو معهم أو ربما أحسن منهم في نقاط عديدة فيبقى إذن وعيه المتمثل في الأنا رغم معرفته بحقيقته وذاته غير قادر على تجاوز ذلك " ذلك يبقى وعيا غير قادر"[3] فيشعر الشخص الذي يعاني من عقدة النقص بالخجل الزائد الذي يسيطر عليه وعلى كل مشاعره وعواطفه.

لكن الأنا كثيرا ما يعدّ آليات دفاعية يواجه بها العقد النفسية التي يعاني منها فعقدة

[1] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 101.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص49.

النقص مثلا قد يواجهها الفرد بآلية دفاعية أو عقدة جديدة تتمثل مثلا في " عقدة التكبر أو الاستعلاء

التي تنمو تدريجيا فيه.

3 – **عقدة الإهمال: (الحرمان العاطفي):** " تدل على حساسية متطرفة في القصور العاطفي وفقدان الحب ووسواس في الابتعاد العاطفي "[1]، فالشخص المصاب بهذه العقدة كثيرا ما يعتقد أن لا أحد يحبه ولا أحد يريده ... فهو يشعر بأنه كائن متروك لا يهتم به أحد مما يجعله يتألم ويحتاج أكثر للحماية والاطمئنان.

تكون عقدة الإهمال هذه في شكلها التعويضي " حاجة جامحة بإعطاء الذات إلى الآخرين ...بالتضحية بالذات بالعطاء المادي والعقلي والفكري بالاهتمام بكل من لهم علاقة معه..."[2].

4 – **عقدة الخصي:** وهي أحد نتائج عقدة أوديب، تعني صعوبة تأكيد الذات شخصيا وبشكل استقلالي ومسؤول... نستطيع القول أيضا أنها عقدة" "قطع الجوانح" ... لنعني فعل تحويل قوة الحياة المستقلة والتحقيق الذاتي للأنا "[3].

---

[1] روجيه موكالي، مرجع سابق، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص 77.

[3] المرجع نفسه، ص 86.

الفصل الثالث:

سيكولوجية الشخصية في "عازب حيّ المرجان" لربيعة جلطي

الفصل الثالث: سيكولوجية الشخصية في " عازب حي المرجان " لربيعة جلطي[1]

لا طالما كانت الشخصية موضوع اهتمام النقاد والأدباء وغيرهم " الشخصية موضوع اهتمام الكثيرين، كالفنانين والشعراء ومؤلفي القصص والمسرحيات ورجال الدين والسياسة والتجارة والدعاية ...إذ يروم كل منا فهم نفسه حتى يعيش في سلام معها ومع الاخرين "[2]،

[1] **ربيعة جلطي:** شاعرة وروائية جزائرية من مواليد سنة 1964، نالت شهادة الدكتوراه في الأدب المغاربي الحديث وهي حاليا أستاذة جامعية في قسم اللغة والأدب العربي ... كاتبة ومترجمة، ولها العديد من المجموعات الشعرية. تعتبر من أهم الشاعرات الجزائريات والوحيدة تقريبا من شعراء جيل السبعينات التي بقيت تكتب وتنشر مجموعاتها الشعرية، وقد ترجم شعرها الى اللغة الفرنسية الشاعر المغربي " عبد اللطيف اللعبي، كما ترجم لها الروائي الجزائري رشيد بوجدرة اعمالا أخرى. وهي زوجة الكاتب والروائي أمين الزاوي.

النتاج الروائي: صدر أول عمل روائي لها سنة 2010 تحت عنوان "الذروة " ثم نادي الصنوبر سنة 2012، عرش معشق سنة 2014، حنين بالنعناع سنة 2015، النبية في 2015 وعازب حي المرجان سنة 2016... بالإضافة الى أعمال شعرية اخرى كثيرة لها. وتجدر الاشارة الى أنها قد نالت جائزة "كاتارا" للرواية العربية.

[2] أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1979، ص 29.

ولهذا كانت موضوع دراسة عدة علوم مثل علم الاجتماع وخاصة علم النفس وغيرها، فنجد علم النفس يهتم بالشخصية ويدرس جوانبها المختلفة " يدرس علم النفس الشخصية من ناحية تركيبها أو أبعادها الاساسية ونموها وتطورها ... واضطراباتها ... كل ذلك على أساس نظريات متعددة "[1]. وبالتالي فكل مجال يهتم بالشخصية في إطار حضاري وثقافي معين، وفي إطار أنظمة اجتماعية، دينية وبيئية معينة. وفي الجانب النفسي نجد أن الطب النفسي اهتم بدراسة الشخصية واضطراباتها قصد تشخيصها وعلاجها والتنبؤ بها.

المبحث الأول: الشخصية الروائية وأنواعها

تعد دراسة الشخصية خاتمة مطاف الدراسات السيكولوجية ويمكن اعتبار أن " علم النفس الشخصية يمكن أن يكون ذلك الفرع الخاص من علم النفس العام "[2] والذي يتخصص في دراسة الشخصية.

1 -تعريف الشخصية الروائية:

في اللغة العربية كلمة شخصية من " شخص وقد ورد في لسان العرب "شخص الانسان

[1] أحمد محمد عبد الخالق، مرجع سابق، ص 36.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

وغيره" وهو كذلك " سواد الانسان تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه"[1] وهذا المعنى أقرب للإشارة إلى الجسم المادي (الفيزيقي) للإنسان.

أما عند الغرب فهناك العديد من التعاريف منها تعريف ألبورت(Allport) الذي يرى أن الكلمة بالفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية يشبه كل منها كلمة personalitas باللاتينية، و" يذكر جيلفورد أن الممثل اليوناني كان يضع عادة على وجهه قناعا يُدعى "برسونا" لأنه كان يتحدث من خلاله ... وذلك ليخلع على نفسه ثوب الدور الذي يمثله "[2]. يعرف جوردن ألبورت الشخصية قائلا: "الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التي تحدّد طابعه الخاص في توافقه لبيئته "[3]، فالشخصية حسبه لها طابع متغير وديناميي، واهتم أكثر بالجوانب الداخلية منها الخارجية.

[1] أحمد محمد عبد الخالق، مرجع سابق، ص 36.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص 39.

أما أيزنك فيقول: " الشخصية هي ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حد ما، لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنية جسمه، والذي يحدد توافقه الفريد لبيئته "[1].

بينما ورد عن الشخصية الروائية في تعريفها " هي مرآة عاكسة للأحداث في رواية ما، ف " الرواية هي فنّ الشّخصية "[2].

2- أنواعها:

تتكون الرواية من عدة عناصر منها عنصر الشخصيات، وهناك عدة تقسيمات وأنواع للشخصية الروائية ونذكر منها:

أ - **الشخصيات الرئيسية:** هي " تلك الشخصية التي تقوم بدور رئيسي في الرواية ولو كانت تقوم بأدوار ثانوية في نفس الوقت، فهو البطل الذي تتمحور حوله الأحداث في الحكي حيث يجسد في الغالب القوة الفردية في مواجهتها للقوى العارضة "[3]، فلا وجود لرواية دون شخصيات، كل رواية تُبنى على شخصية محورية يعتمدها الكاتب لإيصال رؤيته في الرواية. فنجد الشخصية البطلة محور الرواية التي تدور حوله الأحداث، وكثيرا ما يتعرض هذا البطل إلى عقبات ومشاكل وهجومات من طرف قوى الشر، ومن جهة أخرى نجد قوى

[1] أحمد عبد الخالق، مرجع سابق، ص 40.

[2] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص ص 80، 81.

خير مساعدة تقف إلى جانب الشخصية البطلة تساعده، ويكون أملها الانتصار وإحداث التغيير.

ب - **الشخصية الثانوية:** تلعب دورا مهما في إبراز الشخصية الرئيسية وأهميتها، فلا وجود للبطل دون شخصيات ثانوية، فهي تلعب دور مساعد للبطل الرئيسي وليس فقط مجرد شخصيات ثانوية تزيينية في الرواية. " فقد تكون الشخصية ثانوية...فيمظهرها... بينما هي تلعب دورا أساسيا سواء في الكشف عن العلاقات بين الشخصيات، أو في أدائها دورا محوريا فاعلا في الرواية "[1].

الشخصية الثانوية تلعب دورا غير أساسي مقارنة بالشخصية الرئيسية، إلا أنها تساهم كثيرا في القصة، حيث تضفي عليها الحيوية والنشاط وتبعث الحركة في الأحداث وكذلك تلعب دور مساعدة البطل في محاربة قوى الشر في الرواية أو تلعب دور معارضتها، حيث " تقوم بأعمال ضرورية للحبكة، مثل مساعدة الشخصية الرئيسية أو اعتراض طريقها فيما تسعى إليه "[2]. وهي بذلك تساعد في رسم ملامح الشخصية الرئيسية أو كشف بعض أسرار الأحداث في الرواية، وتكون شخصية محبوبة ومقربة للشخصية الرئيسية التي كثيرا ما

[1] عبد المطلب زيد، رسم الشخصية المسرحية، دار غرين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص ص 6،7.

[2] خليل رزق، تحولات الحبكة، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 52.

تكشف لها عن أفكارها وأحاسيسها وأسرارها، إنها كاشف أسرار الشخصية البطلة والوسيلة التي تمكننا من الغوص في أعماق نفس البطل.

ج- الشخصية النمطية (المسطحة) : هي شخصية عادية ، لا تنمو ولا تتطور على مدى أحداث الرواية ، " فهي قريبة جدا من الشخصية النمط أو النموذج وهذه الصفات لا تتغير طوال القصة "[1]، فتبقى على حالها من بداية إلى نهاية القصة كالصديق المخلص، مثلا، قد تكون نمطا للأخلاق العالية أو للألم والتجارب القاسية أو العدوانية أو الهدوء. وهي تلعب كذلك دورا في الرواية حيث تعطيها بُعدا إنسانيا وعاطفيا، وتكون كذلك مسلّية تلعب دور الترفيه ومنع الملل.

د- الشخصية النامية (المدورة) : هي شخصية مركبة ومعقدة ، يصعب التنبؤ بما تستطيع عليه مع تطوّر الأحداث ، لها قدرة عالية على تقبّل العلاقات مع باقي شخصيات الرواية والتأثير فيها ، لأنها عبارة عن " شخصية حيوية ونشيطة ، تفتح لنا آفاق لتوقعاتنا المختلفة، فهي لا تستبعد أي بعيد، ولا تستصعب أي صعب، إنها الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة بكل الدلالات التي توحي بها لفظ العقدة "[2]. وهي تنمو بنمو الأحداث، تتغير من موقف لآخر فتشد انتباه القارئ وتثير دهشته، هي مرآة للراوي كي يُبرز بواسطتها أفكاره ومواقفه

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، دار العرب للنشر والتوزيع، الكويت، ص130.

[2] المرجع نفسه، ص 130.

وآراءه في مختلف القضايا، فتعبر الشخصية النامية عن حال المجتمع مما يسوده من طبقية وتخلف واستبداد، ويبرز تطلعاتها للحرية والعدالة وغيرها.

المبحث الثاني: ملخص الرّواية وأهم شخصياتها

أ -الملخص:

" عازب حي المرجان " رواية للكاتبة ربيعة جلطي، تسرد لنا قصة " الزوبير " بطل الرواية، شخص انطوائي ومنعزل نتيجة تشوهّ جسدي وبشاعة مظهره. لم تشفع له ثقافته الواسعة وفكره المتفتّح وما طالع من كتب وروايات عالمية رغم قيمتها الكبيرة، فالجسد في مجتمعنا أرفع مكانة من العلم والعلماء والفكر والثقافة.

" الزوبير " أستاذ الأدب العربي في إحدى ثانويات وهران، عازب، يعيش في شقة ورثها عن والده في حي المرجان، إنسان خجول ومعقّد نفسيّا بسبب جسده، "نحيل الجسم برأس ضخم وكفّين طويلتين بشكل غير عادي" كما يصف نفسه في الرّواية، تشوهات انعكست سلبًا على نفسيّته، يلقبه أصدقاءه ب " الزوبير الكروفيت " كشكل من السخرية والاستهزاء به، والكروفيت اسم لأصغر أنواع الأسماك، صغيرة الحجم تماما كصغر عضوه الذكري – في اعتقادهم –، تمادي هؤلاء في السخرية منه عقّد أكثر حالته النفسية وزاد من حزنه وإحباطه، ليقرر في أحد الأيام مواجهتهم لإثبات عكس ما يعتقدون، حيث قام بكشف

عورته أمامهم وأثبت لهم أنّه لا يقلّ ذكورة عنهم إن لم يكن أفضل منهم، مما غيّر نظرتهم تماما لمعنى كلمة "كروفيت".

" الزوبير " رغم اكتمال رجولته إلاّ أنه يخاف قُرب النّساء، أو ربّما لا ينجحُ في ذلك كلّما حاول بسبب جسده وخلقته المشوّهة.

يعيش " الزوبير" وحيدًا في شقته بعد فقدان والديه رغم محاولاته للاستقرار والزّواج لتأسيس عائلة. وضع جعله يعيش كبتًا جنسيًّا فيكتفي بنوع من التّلذّذ الجنسيّ سرّا، حيث دَاوم على مراقبة فتاة تدعى " نبيّة " جارته من نافذته وهي في المطبخ في العمارة المقابلة له، والتي قرر أخيرا خطبتها إلاّ أنه لم يوفّق في الأمر، ثم يعيش علاقة أخرى مع " سكينة الرّوخة " سيّدةٌ تعملُ في مطعم الثانوية أسعفته مرّة لمّا أغمي عليه بكأس ماء وبعض النّظرات المُغرية، فأُعجب بها وأقام علاقة معها حيث سكنت مدّة زمنية معه في شقته، لكنها هجرته في أحد الأيّام دون سابق إنذار.

تجارب عاطفية فاشلة تدخله دوامة نفسية مظلمة، الزوبير يلجأ للتلّذذ الجسمي، يصنعُ لنفسه عالما متخيّلاً آخر بعيدًا عن الواقع المؤلم، عالم من أحلام اليقظة يختلي فيه بصور ممثلات ونجمات سينما وكاتبات جميلات، فيُغرَم ب " مارلين مورنو " الّتي استحوذت على قلبه وجعلته يسهر اللّيالي يتبادل معها أطراف الحديث في جلسات خاصة يتخلّلها شرب النبيذ والرقص وهي تُسمعه غنائها العذب.

" الزوبير" وحيد ومتعب نفسيا، لا مؤنس له في وحدته سوى صور نجماته المثبّتة على حائط قاعة الجلوس، وصديقه " عباس " الذي يعمل بحارًا، فهو صديق له منذ أيام الدراسة، بينما افترق مع كل من " محند " و "يحي " و "مصطفى" وأصبح لكل واحد منهم حياته الخاصة. عباس "تشي غيفارا "، هكذا يلقبه الزوبير نظرا لشجاعته وحبّه مساعدة الآخرين ونصرته للحقّ والمظلوم والضّعيف، عباس هو أقرب شخص للزوبير يزوره من وقت لآخر، يحبه كثيرا ويخاف من فقدان صداقته.

عباس شخص غامض، عانى كثيرا في صغره، ويخبّئُ أسرارا لم يعرفها " الزوبير " إلاّ يوم حضوره لعرس صديق في العاصمة في فندق الشيراتون الفخم، حيث اكتشف " الزوبير" أنّ له خطيبة هي " مليكة " التي أحبّها منذ أيام الدراسة، عرسٌ كشف "للزوبير" عالما آخر من الرُّقي والفخامة لم يعرفه قبلا.

وهو يحضر مراسم الاحتفال في قاعة الفندق يكتشف " الزُوبير" ذاته الحقيقية وقيمته الثمينة ومن خلال خطاب ألقاه "عباس" على الحاضرين، وهو الذي عُيّن وزيرًا للشؤون البحرية، خطاب أعاد فيه الاعتبار لذلك الشخص ذو الرأس الكبير، الذي يقرأ كثيرًا في عالم يؤمن أغلبنا فيه أنّ ما نبذله من جهد وما نقضيه من وقت في القراءة والمطالعة ما هو إلا مضيعة للوقت والجهد والمال، فهو معلم بسيط لكنّه ثريٌّ جدًّا، إنّه يخبّئُ كنزًا بين جوانحه لا يملكه أحدٌ منّا على حدّ تعبير" عباس ". كلام يشعل القاعة بالتّصفيق، فعباس أعاد الاعتبار للزوبير الذي طالما عانى من قساوة مجتمع يحكم على مظاهر الأشخاص ولا يعترف بفكرهم

أو علمهم أو ثقافتهم ..." الزوبير" يكتشف أخيرًا قيمته التّي طالما جهلها أو تجاهلها، فيغمره مزيج من الفرح والخجل والخوف الذي سرعان ما يزول، فينطلق بالرقص بطلب من عباس، يرقص ويرقص ويدكّ الأرض بحذائه، يرقص ولا يبالي بأحد بعد أن تحرّر أخيرا من عقده النفسية، ومن جسده، كعصفور هارب من قفصه، يرقص بشدة وهو يشعر بضيق في صدره لكنه يستمرّ، يرقص حتى يسقط هامدًا على الأرض ويفارق الحياة التّي طالما أتعبتهُ وهو في عمر الشباب .

يموت الزوبير وينتقل الوزيرُ شخصيا لحضور جنازته.

ب- أهم شخصياتها:

1 - الزوبير: هو الشخصية الرئيسية في الرواية، معظم الأحداث تدور حوله، هو أستاذ اللغة والأدب العربي في إحدى ثانويات وهران، يسكن في شقة صغيرة بحي المرجان، يعاني من جسده المشوه، وتركيبته الخلقية الغريبة تلك جعلت منه مختلفا، معقدا وخجولا ومنعزلا، وهي حالات نفسية تجلت من خلال تصرفاته وأثرت سلبا على حياته المهنية والشخصية.

2 - عباس: هو الشخصية الرئيسية الثانية، صديق زوبير منذ أيام الدراسة، جعل من البحر ملاذا وعالما له بعيدا عن غوغاء المجتمع ونفاقه عانى كثيرا في حياته لكنه بقي صامدا وقويا ولم يستسلم عكس زوبير تماما، هو رياضي، يتمتع بجسم قوي وعضلات فاتنة، وسيم وأنيق، يحظى بإعجاب الفتيات أينما ذهب عكس زوبير، تمكن من تجاوز

صدمة فقدان والديه وسطر لنفسه مستقبلا ناجحا ... شخص مثقف وواعي وبراغماتي ومغامر بامتياز.

3 – نبية: شخصية ثانوية، فتاة في الثلاثينات من العمر، عازبة، تسكن في شقة مقابلة لشقة الزوبير، هادئة ورزينة، أغرم بها زوبير الذي كان يراقبها من ثقب جدار منزله المقابل لمنزل نبية فتقدم لخطبتها لكن أهلها لم يوافقوا عليه.

4 – سكينة: شخصية ثانوية أخرى، امرأة مطلقة، ذات شعر برتقالي وجسد منمش، تعمل طباخة في مطعم الثانوية، أسعفته ذات مرة لمّا فقد وعيه فأغرم بها ودخل في علاقة معها لعدة أشهر لكن سرعان ما هجرته، لكن في نهاية الرواية يظهر أنها كانت حامل بابن زوبير الذي ولد بنفس صفات أبيه الخلقية والجسدية.

5 – أصدقاء زوبير (يحي، محند ومصطفى): هم أصدقاء زوبير منذ أيام الثانوية، كانوا يجتمعون في شقة حي المرجان للدراسة، أصحاب لقب " الكروفيت" الذي لقبوا به زوبير، مصطفى انتهى به المطاف أستاذا في الشريعة الاسلامية لكنه رغم ذلك يرتاد الكبريهات ويواعد النساء هناك، ومحند انتهى به المطاف في بلاد الغربة لكنه على اتصال بزوبير من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، أما يحي فأصبح رجل أعمال غنيّ يتعرف على أخباره من خلال التلفزيون. هي شخصيات ثانوية لم تظهر كثيرا في الرواية لكنها أسهمت في رسم ملامح الشخصيات الرئيسية خاصة زوبير وتسليط الضوء عليه وكذلك في تحريك ولإنعاش العملية السردية في الرواية.

المبحث الثالث: أبعاد الشخصية الروائية في "عازب حي المرجان".

1 - البعد النفسي السيكولوجي وعقد الشخصية:

استطاع العلماء منذ القديم أن يلاحظوا ويفترضوا وجود رابطة بين الشكل الخارجي للإنسان وبين شخصيته، ولهذا نجد الشخصية الانسانية تتفرع إلى عدّة أنماط.

- **أنماط الشخصية:**

أ - **النمط الشهواني:** " حين يكون اللّيبيدو... موجها نحو الجنس، بحيث يمكننا أن نلخص اهتمامات هذا الشخص برغبته في أن يُحِب ويُحَب. وهذا الشخص يعيش هاجس الخوف من فقدان صحبة الآخرين له. مما يجعل من هذا الانسان متردّدا، خائفا من اتخاذ القرار، خاضعا وتابعا للأشخاص الّذين يحبهم. ومما تقدم نستنتج خضوع صاحب هذا النمط "للهو" أي لرغباته ولنزواته وانسياقه وراءها"[1]. فالشخصية الشهوانية شخصية غريزية، تحب من يهتم بها، تسعى لنيل حب الآخرين وتمنحهم كل الحب الّذي تستطيع، هذا النمط من الشخصيات لا يتحمل فقدان من يحبهم من أهل أو أصدقاء فنجدهم خاضعين للآخر،

[1] محمد أحمد النابلسي، أصول الفحص النفسي ومبادئه، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1997، ص 56.

خائفين فيسيطر عليهم الهو بنزواته وغرائزه الكامنة ينساقون وراءها ساعين جاهدين للحفاظ على العلاقات العاطفية والصداقة التي تربطهم بالآخرين.

"الزوبير" تتجه معاناته في هذا النمط، حيث تتجسد في أحداث الرواية مشكلة زوبير في الحب ورغبته في أن يُحِب وأن يحبه الآخرون بدوره، إنه يعاني عقدة الخوف من فقدان أحبائه وأصدقائه خصوصا "عباس"، حيث يعمل جاهدا ليحافظ على علاقته الطيّبة به ولا يفقده. إن الزوبير يعيش صراعا داخليا بين أناه ولا وعيه (الهو) إذ يحاول تجسيد رغباته الداخلية وإن كان في ذلك تعارض مع الأنا والأنا الأعلى وهو ما نلمسه في مشهد مراقبته لنبية من ثقب منزله والنشوة الجنسية التي عاشها تعويضا للنقص الذي يعانيه.

الزوبير إذن شخصية شهوانية يتخللها نوع من الوسواس. وهنا نذكر حديث فرويد كذلك عن نمط آخر من الشخصيات هو الشهواني الموسوس.

ب – **النمط الشهواني الموسوس:** هذا النمط من الشخصيات يخوض نوعين من الصراع في آنٍ معا، فهو يخوض صراعا ناجما عن تعارض أناه العليا مع أناه، وصراعا آخر بين الهو والأنا. وهكذا نلاحظ بأن الأنا في هذه المرحلة تكون معرضة لأقصى الضغوط، ومثل هذا الشخص يتميز بتبعيته للأشخاص الذين يحبهم حاليا... وهو شديد الوفاء لأهله (ممثلي الأنا الأعلى) "[1].

[1] محمد أحمد النابلسي، مرجع سابق، ص 56.

الزوبير يعيش **صراعين:** صراع داخلي نتج عن تناقض وتضارب وعيه وأناه مع الهو أي بين شعوره ولاشعوره، وصراع آخر خارجي بين أناه والأنا الأعلى الذي يتمثل في الآخر وهو المجتمع والمحيط الخارجي الذي يعيش فيه. فهو يكره جسده ولا يطيقه، ذلك الجسد الّذي يمنعه من الحصول على ما يريد، ومن إشباع رغباته الجنسية الغريزية، وأن يعيش كأي إنسان آخر رغم أنه لا يقل ذكورة عن باقي الرجال، ويمنعه من إيجاد الحبّ الّذي يبحث عنه ومن تكوين عائلة لطالما حلم بها، إنه يتألم، يصارع نفسه ويكره جسده. وفي نفس الوقت يعيش صراعا آخر مع المجتمع الّذي يرفضه نظرا لجسده المشوه، يعاني نظرة الآخر إليه بما فيهم أصدقاؤه وتلاميذه، الزوبير رفضته نبيّة رغم أنها شارفت على بلوغ سن العنوسة، ورفضته سكينة التي هجرته فجأة. إنه يعيش صراعا على جبهتين مما عقّد من حالته النفسيّة بلجوءه إلى عالم الخيال، لقد بنى في مخيلته عالما جميلا مع صديقاته النجمات العالميات، إنه سعيد في عالمه الخاص الّذي لا أثر فيه للألم أو الممنوع أو الحرام، عالم يغازل فيه حبيبته مارلين ويراقصها ويتقاسم معها شرب النبيذ في أمسيات خاصة أين يطلق فيها الزوبير العنان لجسده ورغباته الجنسية دون أن يولي أهمية للمجتمع أو الدّين.

1.1- البعد النفسي السيكولوجي: وهو بُعد يعبر عما تحمله شخصيات الرواية من انفعالات وطموحات ومخاوف، أي تلك الصفات التي تتميز بها الشخصية والتي تدخل في ترتيبه النفسي ، فالرّواية تبرز حالة نفسية وذهنية لشخصية ما، ويحدد تأثير الغرائز الجنسية في سلوك هذه الشخصيات من انفعالات وتصرفات تكشف لنا هل هذه الشخصيات

اجتماعية أو انطوائية منعزلة، هل هي معقّدة أو خالية من العقد النفسية، وهل هي متشائمة أو متفائلة .. وغيرها.

دراسة البعد النفسي لأي شخصية ومعرفة علاقتها بذاتها يمكّننا من معرفة الشخصية أكثر، معرفة مشكلاتها النفسية وغرائزها التي تتحكم فيها، فأي رواية تتكون من شخصيات تميزها صفات نفسية وجسدية معينة.

روية "عازب حي المرجان" لا تخلو من شخصيات تجلّى فيها البعد النفسي الذي جعلها متميزة، مثيرة لاهتمام القارئ. وقد اهتمت النظريات النفسية كما سبق وذكرنا منها نظرية التحليل النفسي لفرويد بدوافع الشخصية وانفعالاتها وحالاتها السيكولوجية العميقة.

إن هذا الولوج إلى العالم الداخلي للشخصيات وتصوير نفسياتهم وفكرهم مهمّ لكشف عالمهم الداخلي وفهم تصرفاتهم في العالم الخارجي، فالمظهر الخارجي لا يتفق دائما مع أغوار النفس، والجسد لا يعكس ما في الذات، وكثيرا ما تنعكس العوامل الخارجية وتؤثر على نفسية الشخصية.

أ / شخصية زوبير:

زوبير شاب في الثلاثينات من عمره، من عائلة ثورية، حيث كان جدّه مجاهدا، وحيد والديه، يسكن وحيدا في شقة بحي المرجان بوهران، يعمل أستاذا للأدب العربي في إحدى الثانويات ،شخص مثقف لكنه مشوه جسديا، يعني من هذا الرأس الطويل واليدان العريضتان اللّتان تشبهان صفائح الصبّار، متعلق كثيرا بوالديه، الوحيدين في حياته اللّذان لا يشعر

بعقدة لما يكشف عن جسده المشوّه و يزيل القبّعة على رأسه الكبير، يرتاح لهما غير كل العالم،إلاّ أنه يُعاني نفسيا لما يراه ويسمعه منهما، إنّهما يتألمان لحاله، ويعانيان في صمت وهو الأمر الذي زاد من حالته، "لابد أن أبي أيضا يشعر بما يخز صدري من إبر وشوك فيشيح بوجهه عني .. ويتظاهر بانشغاله بأخبار الموت "[1].

الزوبير شخص حساس جدا، يعاني من ألم معاناة والديه في صمت، وعانى أكثر بعد فقدانهما إذ لم يعد هناك من يحضنه دون أن يشمئز منه، إنه يعترف في قرارة نفسه أنه ليس بخير، وأنه يعاني اضطرابات نفسية يعود سببها لجسده المشوه، تعود به ذاكرته إلى أيام كانا على قيد الحياة، يتذكر نظرات أمه، " تتأمل جسدي المخلوق بطريقة غريبة وغير منسجمة"[2]، تتألم فيتألم لألمها، إنها الأمان بالنسبة اليه، الوحيدة التي لا يشعر بالحرج أمامها، "أمي الإنسانة الوحيدة التي لا أشعر بالحرج حيالها حين تضع كفّها على رأسي الضخم، أو حين تعانق جسدي الضئيل المشوه "[3]، إنها ملجأه الوحيد، " أبادلها العناق، فألفّ كتفيها بذراعي الطويلتين المنتهيتين بكفين غليظتين تشبهان ورقتي نبات الصبّار المشوّكة "[4]، وبفقدانها فقد

[1] ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2016، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 19.

[4] المصدر نفسه، ص 19.

الحب والحنان والأمان والملاذ الوحيد له في هذا العالم، مما زاد من عزلته ووحدته، فقد من يرى فيه جمال الروح والنّفس فلم يعد يشعر بأهمية نفسه، فازداد كرهه لجسده وتعقده بسببه "أحمل هذا الجسد الذي لا يعجب أحدا"[1] .

حالته النفسية كانت وليدة مرحلة طفولته ومراهقته، أثناء أيام الدراسة أين عانى كثيرا من سخرية أصدقائه منه بسبب جسده النحيل، إنهم يتصورون أن عضوه الذكري صورة شبه الأصل لجسده، نحيل أيضا، صغير لا يسمن ولا يغني من جوع حتى لقبوه ب " زوبير الكروفيت" كناية عن صغر حجمه، "لقب لا أدري من بينهم من اخترعه ليلتصق بي إلى الأبد...لقد استعاروه من صغر جسمي الذي لا يتناغم مع طول ذراعي الشديد نسبيا ولا مع حجم يديّ الكبيرتين "[2] ، كانوا يسخرون من صغر عضوه الذكري ويتهامسون بينهم ويضحكون،" فقد أدركت أنهم يلمحون بمكر إلى أمر يتعلّق بذكورتي "[3]، مما زاد تعقّده أكثر فأكثر." يقسمون بأغلظ الايمان أنني غير محظوظ حتى منها ولا أملك خلف حزام سروالي سمكة من نوع "كروفيت" نحيلة وضئيلة جدا "[4].

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 76.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

[3] المصدر نفسه، ص 20.

[4] المصدر نفسه، ص 21.

فالزوبير كان مضطربا منذ فترة طفولته ومراهقته، عانى من سخرية زملائه والمجتمع منه بسبب جسده، وتصورهم الخاطئ لحجم ذكورته، هذا الجسد الذي أصبح مصدر ألم ومعاناة داخلية له، سبب رفض الآخر له وهو الذي يرى هذا الجسد كذلك غريبا عنه، معاناة داخلية دفعته للبحث عن مهرب للتعويض عن كبته وحرمانه العاطفي والجنسي.

فترة طفولته إذن خاصة مراهقته كانت منطلق ازماته النفسية و عذابه المستمر، لا يزال يستذكر تلك الذكريات الأليمة، لا تزال ضحكات ونظرات السخرية المستهزئة رجولة الزوبير تراوده، ويتذكر ذلك اليوم الذي قرّر فيه مواجهة هؤلاء الساخرين، ليقرر في أحد الأيام إعادة الاعتبار له ولعائلته، فلم يعد قادرا على تحمل سخريتهم، " كان الجمر يشتعل في قرارة عيني، وأخيرا واجهت عباس ويحي ومحند ومصطفى متحديا "[1]، لقد كشف لهم عن عضوه الذكري فيسكت الجميع عن القهقهة والسخرية " رأيت أدمة وجوههم كأنها تنفصل عن رؤوسهم ... تتحول ملامحها الضاحكة السّاخرة شيئا فشيئا إلى حالة اندهاش "[2] فيغمره إحساس بالرجولة، بالانتصار والفخر الذي لم يسبق أن عاشها، حيث لم يجرؤ أحد على السخرية من صغر عضوه التناسلي بعد ذلك اليوم .

معاناة زوبير في طفولته لم تتوقف عند هذه الحادثة التي أثرت على سلوكه ونفسيته فحسب، بل كان يعاني كذلك في مدرسته لما كان تلميذا في الثانوية، " جرت العادة الظالمة

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص 27.

أن من يريد أن يثبت للآخرين قوّته، يفكّر مباشرة في البدء في مصارعتي "[1]، عانى من احتقار زملائه له بسبب جسمه الضعيف، وكم هو مؤلم أن يستقوي عليك أضعف التلاميذ، ولا تزال ذكريات حادث وقع له في ساحة المدرسة راسخا في ذهنه آلامه لا تزال تحفر في قلبه، "اقترب مني نور الدين الخواف ...كان معروفا بجُبنه وخوفه من الجميع. لم أفعل له شيئا... اقترب مني ... مدّ يده... دفعني ...دفعة قوية جعلتني أسقط أرضا وسط البركة ... وصرت مثل ذبابة مسكينة "[2]، لقد استقوى عليه حتى أضعف التلاميذ في المؤسسة. كل هذه الحوادث التي تعرض لها زوبير في فترة مراهقته أثرت على نفسيته وساهمت في عزلته وانطوائه على الآخرين، حتى إنه لا يعرف أحدا في الحي الذي يسكنه.

كبتٌ رهيب عاشه زوبير منذ كان تلميذا ولا يزال يعيشه وهو رجل بالغ، فلا أحد يبالي به منذ فقد والديه، وأكثر ما يقتله نفسيا رفض النساء له واشمئزازهنّ منه، فلا فتاة رضيت بصحبته أو بعلاقة رسمية معه، مما جعله يعاني من كبت جنسي رهيب لا أحد يعلمه سواه.

عقدة الزوبير الأولى هي جسده، إنه في حالة صراع دائم مع نفسه مع جسده، وذلك من خلال معاناته الداخلية من جسده المشوه، وصراع آخر مع الآخر.

يعيش صراعا داخليا، إضافة إلى صراعه مع المجتمع، فهو مشوه جسديا ممّا صعّب

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 110.

[2] المصدر نفسه، ص 112.

عليه الحصول على فتاة أحلامه في مجتمع يحتقر النفس والعلم ولا يعترف إلاّ بالجسد والمظاهر، زوبير يعيش صراعا حيث يقف بين الحواجز الاجتماعية ورغباته الجنسية المكبوتة، لهذا نجده يهرب من عالم الواقع القاسي الذي يقف عائقا أمام تلبية رغباته الغريزية إلى عالم آخر خيالي يعوّض فيه ما حرم منه في واقعه، يلجأ زوبير الى حيل دفاعية توفّق بين ضغوط المجتمع وقوانينه وتقاليده وأعرافه، وغرائزه اللّيبيدية من خلال التلذّذ الجنسي السرّي للتعويض غير المباشر، يراقب نبيّة ذات يوم جمعة من ثقب جدار فتزداد لهفته في اشباع جسده، غير مبال بمكبرات الصوت وأصوات الأئمة تتعالى من المساجد وتهدّد عباد الله بالعذاب الأليم والنار والسعير، إنه يتجاوز حاجز الدين و المجتمع، إنه يرفض الخطابات المثالية والتكلّف باسم الدين، "لابدّ أن الإمام يُدرك أنه ليس بملاك ..."[1].

2.1 – عقد شخصية الزوبير:

أ – **عقدة النقص:** كما سبق أن عرفناها هي التأكيد بأن الشخص ليس على المستوى المطلوب، أنه غير كفؤ، أنه شخص يُهزأ منه أو أنه مجال للسخرية، الشخص الذي يعاني من عقدة النقص يشعر بالخجل الزائد الذي يسيطر عليه وعلى كل مشاعره وعواطفه. الزوبير يعاني عقدة نقص ظاهرة للعيان ، فهو يشعر أنه ليس مثل الآخرين في شيء، وتصرفات زملائه اتجاهه ساهمت في تنامي شعور النقص لديه، تهجم نورالدين الخواف عليه

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 59.

ليصنع لنفسه مكانة وهو الذي لا يتجرأ على رفع رأسه أمام الآخرين، فهو محل سخرية الجميع، يخاف المواجهة بسبب ضعف جسده المعطوب، يختبئ داخل معطفه الواسع وقبعته التي تغطي شكل رأسه القبيح، منعزلا في شقته عن العالم مستصغرا قدراته ومستواه الثقافي الذي لا يملكه من هو في هيئة عادية .فعقدة النقص تقوم على مرتكز الفروق الفردية الفيزيائية الجسدية التي تكون ارضا خصبة تتولد فيها، فتكون العاهات الجسدية التي تخيف أو تنفّر الآخر منه. إلا أن الزوبير عوض عقدته هذه، بحيث سعى لتعويض هذا النقص بالمطالعة وقراءة الكتب الكثيرة، فهو انسان مثقف، قوي الأفكار منفتح على الأدب العالمي، صحيح أنه مشوه الجسد لكنه منفتح على عالم الأدب والفن.

ب – **عقدة الحرمان العاطفي:** وهي عقدة تتولد نتيجة الشعور بالقصور والنقص العاطفي، وفقدان الحب والاهتمام، فالشخص المصاب بهذه العقدة كثيرا ما يعتقد ويحس بأن لا أحد يحبه ولا أحد يريده وبأنه كائن متروك لا يهتم به أحد وهو الشيء الذي يجعله يتألم يحتاج أكثر للحماية والاطمئنان.

الزوبير عان من الإهمال والحرمان العاطفي خصوصا بعد وفاة والديه، فقد كانا مصدره الوحيد للاطمئنان والحب، فوالدته كانت الوحيدة التي تضمه دون أن يشعر بالخجل منها بسبب جسده أو يشعر بالخوف من أن ترى تفاصيل ذلك الجسد المشوه، " أعانقها دون

خوف من أنها تشمئز من بشاعة صورتي أو تنفر من شكلي "[1].

الزوبير يعرف جيدا حالته النفسية التي أصبح عليها جراء الإهمال الذي يعاني منه، لهذا نجده يحب الآخرين ويخاف فقدهم، خصوصا صديقه عباس، إنه يكرس نفسه ووقته للآخر، لسكينة، لعباس ...، لا مانع عنده في التضحية بذاته ماديا او معنويا أو غير ذلك في سبيل كل من له علاقة معه وقريب منه. إنه يهتم بصديقه عباس أيما اهتمام، يفرح لسماع خبر عودته من رحلة بحرية ويفرح أكثر لما يقرر عباس المبيت في شقته في حي المرجان بدل الذهاب لفندق فخم رغم انه يستطيع ذلك، فيقوم عباس بالبحث عن عاملة نظافة تنظف له شقته وتهيئها حتى يشعر عباس بالراحة فيها، " لديّ شعور عميق بأن هذا سيجلب السعادة لصديقي عباس. سيرتاح عميقا خلال مكوثه في شقتي ..."[2].

زوبير إذن يعيش حالة معقدة دفعته إلى حيل دفاعية يلبي بها رغباته الغريزية بطرق تتنافى مع العالم الخارجي وواقع العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، حالة نفسية صعبة نتيجة تشوه خلقي عوّضه بصفات داخلية جميلة، إنه طيب القلب، شغوف بالمطالعة والثقافة الواسعة، قرأ لكبار الأدباء العالميين من "غارثيا لوركا"، "فيكتور هوغو " جنكيز إماتوف "، طالع " ملحمة هوميروس "، معجب بتشي غيفارا وغيرهم من الأبطال الحقيقيين أو المتخيلين في كتب الأدب العالمي، له مكتبة مستّفة حتى السقف جعلت له رؤية متميزة اتجاه هذا

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 83.

العالم، إنه يهرب من عالمه القاسي إلى عالم الخيال الذي تصنعه الروايات والفنانات النجمات العالميات، كما أنه "عوّض" تشوّهه الجسدي بثقافة المطالعة، ثقافة واسعة قلما نجدها عند إنسان عادي جسديا. ربما كانت رغبة الزوبير أن يكون أحد هؤلاء الأبطال، لكنه في الواقع لم يكن سوى أستاذا في الأدب العربي يلقن تلاميذه، لهذا نجده يعوّض في تدريس تلاميذه أساسيات الأدب ويحدثهم عن هؤلاء العظماء. وهذا "الإعلاء" ظهر كونه يرى في تلميذه المفضل شخصية " غارثيا لوركا ".

لقد أحب ذلك التلميذ وفضله على الباقيين، حتى اصطدم بحقيقته يوما وتصرف بعدوانية لم يتوقعها بعد أن تجاوز حدوده وأعاده الزوبير الى حجمه الحقيقي، لقد تتبعه في الشارع ورماه بحجر أسال به دمه، وهنا خيبة أخرى للزوبير، لقد اصطدم بالحقيقة مرة أخرى لما سال دم رأسه من جراء تلك الحجارة التي قذفه بها تلميذه إنها مرة أخرى صدمة الاستفاقة من عالم الخيال ومواجه الواقع المغاير لعالمه المتخيل.

عقدة الزوبير الأولى هي جسده، إنه في صراع دائم مع نفسه ومع جسده، يعاني داخليا من جسده المشوه، ويعاني كذلك خارجيا مع الآخر. إنه يصارع ذاته العميقة ويصارع جسده الذي يمثل عقبة له في مجتمع لا يحكم سوى على المظاهر، فالجسد يحتل مكانة جد مهمة في سلّم الأحكام الاجتماعي، إنه الواجهة التي نقابل بها الآخر.

3.1 -الزوبير والجنس:

رفض المجتمع للزوبير ومعاناته مع الآخر ومع نفسه وذاته جعله شخصا مكبوتا كبتا رهيبا تحول إلى هاجس جنسي، حيث سعى بكل ما أوتي من قوّة كي يعوّض عن رغباته الجنسية المكبوتة لتحقيق استقراره النفسي، صنع لنفسه عالما خياليا خاصّا به، ليس فيه سوى ما يحبّه، جعل لنفسه حبيبات نجمات عالميات من مغنيات وممثلات، أمثال "مارلين مونرو" وغيرهن، يقضي معها أجمل الأمسيات في عالمه التخييلي، يداعبها ويتناول النبيذ معها، طبعا بعد فشله في العثور على حبيبة حقيقية بعد أن رفصته الفتاة "نبية" وهجرته "سكينة الروخة" دون سابق إنذار. إنه يشبع غرائزه ورغباته في عالم آخر متخيل خاص به، فنجده يكتشف لذّة الخمر لأول مرة في إحدى ليالي سمره مع مارلين، ليتجاوز عالم المحسوس وعالم الممنوعات الى عالم اللّذة والسعادة.

الحياة ترتبط بغريزتين مهمّتين هما غريزة حفظ الذّات والغريزة الجنسية "اللّيبيدو" التي تتمثل في مجموعة توترات جسدية ترتبط بمناطق تحقق اللذة في جسدنا، والزوبير تتجسّد فيه هذه الغرائز الجنسية من خلال عضوه التناسلي الذي يرمز له ب"الكروفيت" مقابل جسده المشوّه، وقد سعى لتحقيق هذه الشهوات الغريزية بالهوامات والخيال، إذ أن الغرائز الجنسية يمكن إشباعها بطرق غير مباشرة، فالزوبير يشبع رغباته الغريزية من خلال خياله و السفر في عالم الوهم الذي صنعه لنفسه ، يتخيل اللّقاء الغرامي بينه وبين معشوقته "مارلين مونرو " وكأنها فعلا بجانبه، يتبادل معها أطراف الحديث، يرقص معها، يغازلها، يغني معها

ويتقاسمان شرب الخمر معا، إنه يشبع غرائزه من خلال الإستيهام والتخيل بعيدا عن الواقع وعن رقابة الأنا الأعلى.

الزوبير شخص متشائم يعيش في عالم خاص به، بعيدا عن الواقع المؤلم، فهو قبيح الجسم والمظهر، لكنه مثقف، محب للمطالعة، مولع بالكتب يلهث وراء آخر الإصدارات الأدبية في مجتمع لا يقرأ ولا يعير أي اهتمام للكتاب، إنه يهرب الى عالمه المفضل الذي يجده بين دفات الكتب المفضلة له، وهو ما يزيد من مُعاناته النفسية بسبب جسمه ونظرة المجتمع إليه، لا أحد يولي اعتبارا لمستواه الثقافي كونه أستاذ، فهو يعيش في مجتمع يحكم على المظاهر غالبا.

يعتبر فرويد أن بعض المشاعر والأحاسيس العاطفية الانسانية كالحب والكراهية والخوف قوى تحرك الرجال والنساء، وأن هناك قوّة واحدة بسيطة تحرّك الانسانية جمعاء وهي الجنس أو غريزة اللّيبيدو، وهي كلمات قد ترتبط بالسرور أو بالألم، بالسلامة أو بالخطأ. أدبيا فرويد استخرج من لاشعور الانسان ذلك الصّراع الذي يزعج الفرد سواء تعلق الأمر بالروائي أو بشخصيات رواياته، فالشخصيات غالبا ما تبحث عن مهرب من الواقع المُرّ المليء بالوحدة والخوف والتشاؤم والعزلة إلى عالم خيالي صنعه لاشعوريا ولا علاقة له بواقعه، في هذه الرواية زوبير صنع له حبيبات من فنانات ونجمات مشهورات أمثال "مارلين مونرو" وغيرهن، وهو الذي يعيش نفور الفتيات منه في الواقع بسبب جسده المشوّه. وحتى

اختيار زوبير لمارلين مونرو وتعليق صورتها على جدار غرفة الضيوف يُثير التساؤل، لماذا مارلين بالذات وتركيزه عليها؟

مارلين مونرو، هذه الفنانة العالمية، أيقونة الإغراء، رمز الخمسينات الجنسي، ابنة غير شرعية حاولت أمها قتلها وهي صغيرة، ممثلة أصبحت أكثر نجوم العالم إثارة للإعجاب، تدخل في علاقات مع رجال كثيرين ، شغلت العالم بجمالها و بوفاتها اللّغز ، اختار الزوبير مارلين ليقضي معها أمسياته، ما الدافع النفسي الخفي الذي دفعه لذلك، أكيد إثارتها و جمالها وإغراؤها الجنسي الذي يتعطّش إليه زوبير هو سبب ذلك، إنه يجد فيها ما لا يتوفّر له في الواقع، هي أناه التي يراها فيها، في هذا الآخر الذي يمثل مونرو الحبّ، الإغراء، الجمال والفنّ.

4.1 - الزوبير وصراع الأنا والآخر:

الناس حسب سارتر لا ينجحون أبدا في أن يكونوا أشياء واقعية لأنفسهم، فهم مجرّد أشياء بالنسبة للآخرين، " الناس هم أشياء بالنسبة للآخرين ولكنهم ليسوا أشياء تامة بالنسبة إلى ذواتهم، فلا يمكن أن نكون موضوعا لذاتنا، لأن ذلك يفترض وجود الآخر[1]، الأشخاص يعيشون وسط صورهم لأنهم لا يحتاجون في أن يكونوا أشياء واقية لأنفسهم.

[1] سعاد حرب، الأنا والآخر والجماعة: دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 162.

فالزوبير يرى نفسه في أبطال رواياته التي قرأها، في مغامراتهم، في شخصيات كبار الكتاب الذين يقرأ لهم، هو يرى نفسه في الآخر، في الروايات والقصص التي يطالعها وباستمرار، إنه يعيش في صورته التي يريدها ويتمناها في أعماق نفسه ولم يتمكن من تحقيقها في الواقع، لكن الآخر بدوره كوّن صورة مغايرة تماما عنه، صورة جسد مشوه لا يشبه أجساد الآخرين، تلك صورة جسدية جعلته يعاني نفسيا.

لما يتحدّث زوبير عن نفسه في الرواية يوظف ضمير المتكلم "أنا" وهو ضمير يعبر عن الأنا الساردة وفي نفس الوقت عن مجموعة من الهو، " تشظّيات الأنا الساردة إلى مجموعة من الآخرين المتشكلين من الأنوات السابقة "[1]، فالأنا الساردة تعبّر عن أنوات أنا الطفولة، أنا المراهقة، وغيرها وكلها تعبّر بطريقة أخرى عن الهو.

الزوبير يتحدث عن نفسه بالضمير "أنا" لكنه في الحقيقة يتحدث بطريقة ما عن الآخرين الموجودين في أناه، لمّا يسرد عن نفسه فهو يسرد عن أشخاص آخرين فيه، إنه بحديثه عن أناه يتطرق لمراحل حياته من طفولة و مراهقة عانى فيها من سخرية الآخرين منه وبالتالي يتحدث عن الهو الذي عاش في مرحلة ما من حياته حياةً أخرى.

إن تقديم الشخصية الساردة لنفسها في الرواية بتوظيف الضمير " أنا " شيء إيجابي إذ يساعدنا على تحليل هذه الشخصية أكثر، يقرّب ماضي وحاضر الشخصية ويسمح لنا

[1] صلاح صالح، مرجع سابق، ص 66.

بالتغلغل في باطنها وأعماقها، الزوبير يتحدث عن نفسه بنفسه، عن حالته النفسية وأفكاره ودواخله ومكبوتاته النفسية التي يصعب ويستحيل معرفتها لو لم ترد على لسانه الخاص، هذا السرد على لسان زوبير بضمير المتكلم "أنا" يقتضي أنّ زوبير هو الأنا، بينما كل من هو خارجه فهو يمثل الآخر. هو شخص يسرد حياة شخص آخر عاش في مرحلة ما بعيدة عنه وهي مرحلة الطفولة والمراهقة وهي "الهو "، يسرد لنا زوبير كيف كان الآخرون يسخرون من جسده وقبحه وتشوّهه، يسرد حياته المخزية التي يعيشها الآخر الذي في أناه (الهو) حتى لآخر يوم في حياته عندما كان يرقص، أين تخلص زوبير من كلّ عقده وحزنه، لتظهر الأنا المفتخرة فينطلق راقصا مُحرّرا جسده غير مبالٍ بالآخر، المتمثل في " الهو الخارجي أو العالم الخارجي والمجتمع.

المتطلع لشخصية الزوبير أوّل الأمر يعتقد أنه إنسان سطحي مشوّه الجسد، لكن الحقيقة غير ذلك، وهو ما يتعارض مع الاتجاهات الساذجة في دراسات الشخصية التي تحكم على الشخص من مظهره دون أية مقاييس علمية أخرى، أحكام ساذجة نتيجة أنماط تعوّدنا عليها في المجتمع، فالطبيب له صورة نمطية نعينة وكذلك الأستاذ ... وغيرهم، حيث نحكم عليهم من الظاهر فقط وهذا ما أثبت فشل هذا الاتجاه لخضوعه لأحكام سطحية تمنعنا من التصور الصحيح للشخصية، فشخصية الزوبير إذا نظرنا إليها من حيث الشكل الخارجي فهي تعطي انطباعا أنه سطحي، مشوّه وفقط، لكن الحقيقة أشياء أخرى أيضا، فهو يُخفي

الكثير من المشاعر والأفكار والقيم وغيرها، هو شخص عاطفي جدا، إنسانيّ إلى أبعد الحدود ، يخفي الكثير من الثقافة بالنظر إلى كمّية الكتب التي قرأها.

ب/ شخصية عباس:

عباس شخصية ثائرة، قوية، واعية، مواكب لتطورات المجتمع حوله، يواجه الواقع بحزم ومسؤولية دون خوف أو تردّد، يناضل بجهده وفكره للتغيير، عكس شخصية زوبير تماما، شخصية لعبت دورا أساسيا في الرواية أيضا ، فقد كانت بداية الرواية بجملة الزوبير " واش بيه عباس لفحل...عباس تشي غيفارا..."[1]، وتبين لحظة ترقب زوبير وصول صديقه عباس بعد رحلة بحرية طويلة، عباس يلقبه زوبير ب" لفحل" أي المفعم بالرجولة، هو يمارس مهنة بحّار ويحب البحر والمغامرات البحرية كثيرا، عاش طفولة قاسية حيث فقد والديه في فترة العشرية السوداء، لقد تم ذبحهم أمام عينيه، " جرح عباس بفقدان والديه في مأساة العشرية الحزينة لم يلتئم بعد ولكنه جعله أوعى منا جميعا وأكثرنا فطنة "[2]، عباس كثير الحركة والحيوية والانفعال يمارس الكثير من الرياضات ولا يستقر في مكان، تلك طريقته لنسيان ما حدث له في طفولته، نسيان صورة جثتي والديه المغتالين بأبشع الطرق.

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 09.

[2] المصدر نفسه، ص 33.

اختار عباس البحر كمتنفس له، إنه كالمرهم الذي يخفف ألام جروحه، فهو لا يخلو من المعاناة النفسية منذ كان طفلا، لكنه عمل على تجاوز تلك المحنة ولم يستسلم. نفسية عباس عكس نفسية زوبير تماما " عباس لا يعرف الخوف ولا التردّد "[1]، قويّ الشخصية، يحب مساعدة الآخرين ولا يرضى بالظلم والتعدي على الآخرين، لهذا فهو يمثّل رمزا للشجاعة والبطولة في نظر الزوبير الذي يلقبه ب "عباس تشي غيفارا "، عباس المدافع عن الضعفاء والمظلومين، إنه صورة معاكسة تماما لصورة الزوبير الضعيف والخائف الذي يعاني عقدة النقص والخوف من المواجهة، لقد حوّل عباس ألمه وجرحه وصدمته من فقدان والديه إلى قوّة وشجاعة في مواجهة العالم، بعيدا عن الانطواء والحزن. طفولته لم تكن لم تكن كطفولة باقي الأطفال في عمره، فقد عاش تجربة قاسية جدّا " لقد خسر براءته بسرعة بعد أن واجهتنا العشرية الدموية ...سنوات قاسية "[2]، تلك التجربة حوّلته إلى رجل قويّ، شهم، يكره الظلم، كما أنه إنسان واعي لدرجة كبيرة يرى المستقبل في التغيير.

ولهذا نجد الزوبير متعلق جدا بصديقه، بعباس يرى نفسه في عباس، فهو الصديق الوحيد الذي بقي على علاقة معه من أيام الدراسة، الزوبير ضعيف الجسد والشخصية، معقد نفسيا بسبب تشوّهه، تعلق بصديقة ورأى فيه البطل الخارق الذي لا يخاف، قويّ البنية، لا طالما دافع عنه أيام الثانوية أمام تجبّر أضعف التلاميذ عليه، لا يزال يتذكر "نورالدين الخوّاف "

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص32

[2] المصدر نفسه، ص 32.

وعباس يلقنه درسا لا يُنسى. عباس تشي غيفارا رمز البطولة والدفاع عن المظلوم، إنه البطل في عيون الزوبير " إنه عباس تشي غيفارا، القوي الجبار، ذو الشعر الغزير الفتي، ولحية تشي غيفارا وشاربه، عباس ذو الكتفين العريضتين إلى درجة لا تستطيع أي امرأة أن تلفّهما كلّية بذراعيها المعانقين "[1].

جسد عباس عكس جسد الزوبير تماما، إنه الزوبير الآخر الذي تمناه الزوبير أن يكون هو عليه، ما يريد أن يكون عليه الزوبير وما يريده أن يراه فيه الآخر، إنه بطله ومثاله وقدوته الأبدية " يُخيّل لي أنّني أمام " أوليس" حيّ يُرزق ..."[2]، نفسه وجسده كما يريدها زوبير الذي يرى نفسه في عباس، في الآخر، " أنا أراني فيه أحيانا لأنه ما لستُهُ البتّة، ولأنّني ما ليسَهُ وما لن أكون عليه أبدا، وكل ما فيه ليس فيّ، وكلّ ما فيّ ليس فيه "[3].

عباس نقيض الزوبير، يرى نفسه فيه، وهو الذي لا مكانة اجتماعية له ولا احترام الآخر رغم أنه أستاذ ومثقف، بينما عباس شخصية قوية، ثائرة، مغامرة، شجاعة، لا يعرف الخوف والتردّد عكس زوبير تماما، لهذا فإن عباس هو المرآة التي يرى منها زوبير نفسه، إنه نفسه في اللآخر، في هذا الشاب الوسيم، المفعم بالقوة والبطولة والشجاعة، الذي صنع

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

[3] المصدر نفسه، ص 48.

نفسه بنفسه " إنه الضفّة الأخرى من العالم الآخر "[1]. ولهذا نجد زوبير يخاف من فقدان صديقه عباس، يفعل أي شيء لإرضائه وكل شيء لأجل راحته، يجهّز له شقّته في كل مرّة يعود فيها الى وهران من رحلة بحرية طويلة، إنه فخور بذلك، فخور لكون عباس يختاره هو ليقضي أياما في شقته ويفضلها على أي فندق ضخم، "فيسعى جاهدا لتوفير الراحة لعباس في شقته، " هذا سيجلب السعادة لصديقي عباس، سيرتاح عميقا خلال مُكوثه في شقتي الصغيرة في حيّ المرجان، وكالعادة سوف لن يُفكّر في الذهاب إلى فندق أو إلى مكان آخر "[2].

لكنّ الزوبير يمثل أيضا الاستقرار بالنسبة إلى عباس، يعود إليه لقضاء أيام راحة بعد غياب طويل، إنه يرى فيه السّكينة والهدوء والحبّ والأمان، يعود إلى الزوبير، إلى ذاته، إلى الاستقرار وإلى كلّ ما يفتقده عباس في حياته، " إنّه يفضلها على أفخم فندق ...لأنه يحتاج ككلّ مُغامر إلى فترة من السّكينة العميقة، إلى العودة إلى الذات. وفي شقّة المرجان الكثير من ذات عباس "[3]. عباس في حقيقة الأمر أيضا يبحث عن استقراره النفسي، يبحث عن ذاته التي لا يجدها إلا عند الزوبير وفي شقة الزوبير.

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص 83.

[3] المصدر نفسه، ص 84.

2 – البعد الجسدي الفيزيولوجي وعلاقة الزوبير بالآخر:

يرى سارتر أن الفن هو الوسيلة الوحيدة التي تسمح بخلاص الإنسان فالناس حسب سارتر لا ينجحون أبدا في أن يكونوا أشياء واقعية لأنفسهم، فهم مجرّد أشياء بالنسبة للآخرين ويرى سارتر أننا نحب المسرح والسينما لأننا نرى ذاتنا في غيرنا، " الناس يعيشون وسط صورهم لأنهم لا ينجحون أبدا في أن يكونوا أشياء واقعية لأنفسهم. فالناس هم اشياء للآخرين "[1]، إننا مجرد أشياء للآخرين وصورة أنفسنا هي في الحقيقة في صورة الآخر، و " وجودنا في الواقع يفترض وجود الآخر "[2]، إننا لا نرى نجاحنا إلا من خلال الآخر الذي يرسم صورتنا الصحيحة، تلك التي في أعماقنا، نحن ملك الآخر نتواصل معه ونحاول التفاهم معه ووفق ما يناسب لكننا أيضا ما يريده منا الآخر ويراه فينا، نحن لا شيء سوى ما يكوّنه الآخر عنا من تصورات وأفكار إننا الآخر في عين الآخرين.

الجسد في هذه الرواية وبالنسبة لأي شخص هو صورتنا في وجه الآخر، فالجسد ضروري للتواصل مع العالم ومع ذاتنا أيضا. زوبير يعاني بشدة من جسده المخلوق بشكل غريب، والذي وقف عقبة له أمام نفسه وأمام العالم، هذا العالم الذي لا يبالي بنفس أو روح،

[1] سعاد حرب، مرجع سابق، ص 162.

[2] المرجع نفسه، ص 162.

ولا بثقافة أو علم أو فكر بقدر اهتمامه بالجسد، جسد الآخر. ولهذا نجد علاقة زوبير بجسده سيّئة جدا، هي علاقة إنكار واشمئزاز وكراهية، " أحمل هذا الجسد المشوه الّذي لا يعجب أحدا "[1]، إنه في معاناة مع جسد لا يعجب الآخر الذي يرفضه بسببه، ولا يُعجب حتى نفسه التي تعاني، إنه يحتقرها ولا يقدّرها بسبب هذا الجسد الذي لا يشبه أجساد الآخرين، جسد يحرجه أمام زملائه وأصدقائه، وقف عائقا في وجه نجاح علاقاته العاطفية الشخصية، "جسمي الذي لا يتناغم مع طول ذراعي الشديد نسبيا ولا مع حجم يديّ الكبيرتين "[2].

علاقة زوبير بجسده هي علاقة اضطراب وكُره وشعور بالنّقص، فالجسد يؤثّر في الشخصية ويكوّنها أيضا، بل إنه الجزأ الأهم و الأكثر مواجهة للعالم، وهذا الجزء الجسدي العضوي تُكوّنه عناصر مهمّة، لها أثر كبير على ملامح الشخصية وهي الجسد، النفس (الذات) والجنس، وزوبير تأثر بالجانب الجسدي فيه، بتشوّهه وخلقته التي تخالف خلقة الآخرين، فتأثرت نفسيته بدرجة كبيرة و ساهم ذلك في أن يطفو الجانب الغريزي الجنسي كتعويض عن كبته ونقصه، بل حتى جسديا كان عضوه الذكري بمثابة تعويض عن النقص والتشوه الذي فيه، فكان فخره الوحيد ومؤنسه، لكن ذلك أيضا سبّب له حالة اضطراب كونه لم يجد فتاة أحلامه التي يتفاخر أمامها ويشبع رجولته .

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 76.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

ولهذا نجد زوبير يلجأ إلى التلذذ الجنسي من خلال مشهد مراقبة " نبيّة " من النافذة حيث يصل إلى نشوته المرغوبة، كما لجأ إلى الإستيهام فصنع لنفسه عالما آخر موازي لعالم الحقيقة الذي يعيشه، عالم خيالي مع حبيباته النّجمات العالميات اللّواتي علّق صورهن على جدار قاعة الجلوس، يسهر معهن ويداعبهن في خياله، تاركا لا وعيه وغريزته تطفو دون موانع.

إن الجانب المادي للشخصية يساهم في صنع مكانة مهما كانت له في المجتمع، فالمظهر الخارجي العام للشخصية يؤثر في نفسية الشخصية وسلوكها.

زوبير يعاني عزلة فرضها عليه جسده، يعيش في شقته بعيدا عن المجتمع، وحيدا بعد فقدان والديه، يواجه ذاته داخل شقته الصغيرة بحي المرجان، يقابل مرآة غرفته في لحظات قاسية، تكشف له تشوّهه وتضعه أمام الأمر الواقع، زوبير " شخصية مفصولة عن التاريخ وعن الواقع، مسجونة في أفقها الذاتي، الخاص جدّا، التاريخ الوحيد الذي يعنيها هو تاريخ جسدها المعطوب "[1]، إنه يعاني أمام غرفته وحده وهو يقابلها، " مرّات عديدة يحدث أن أخلو إلى نفسي. أتّجه نحو المِرآة الوحيدة في شقة جدي المجاهد سي قادة. أقف أمام صورة جسدي كاملة وجها لوجه "[2] ينظر باشمئزاز وألم إلى ذلك الجسد القبيح الغريب عليه،

[1] لونيس بن علي، ارتباكات الجسد السردي في "عازب حي المرجان"، مقال نقدي، موقع الترا صوت، 2016.

[2] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 22.

الّذي خلق له عُقدا نفسية عديدة جعلته ينعزل في عالمه الخاص الّذي بناه في مخيّلته، إنه يتألّم بشدة " أترك المرآة، إلاّ أنّني أعود إليها مرة ثانية وثالثة ورابعة وعاشرة، لأقف طويلا... ثمّ لا ألبث أن أغيب في نوبات بُكاء مرير "[1].

3 - البعد الاجتماعي وعلاقة الجسد بالآخر:

يؤثر المجتمع والعالم الخارجي بقدر كبير في الشخصية الانسانية، ولا ننكر ما توصلت إليه مادام دوستايل وتين وغيرهم في دراساتهم التي خلصت إلى وجود تأثير كبير للمحيط الاجتماعي من ثقافة ودين ومعتقدات وحتى الطبيعة والمناخ في تكوين شخصية الإنسان وفي طبيعة علاقاته مع غيره. وهو ما ظهر في الشخصيات الأساسية في الرواية.

أ – الزوبير والآخر:

يُعتبر " الهو" الجانب الغامض من الشخصية ولا يمكن معرفته إلاّ من خلال الأحلام التي يراها أو الانفعالات التي تصدر عنه، فتصرّفات شخص تكون تحت سيطرة الهو الذي لا يبالي بالأنا الأعلى وبالعادات والتقاليد والأعراف الدين، الهو لا يعترف بالحرام أو الممنوع، بل يسعى فقط لتحقيق رغباته وإشباعها تحقيقا لمبدأ اللّذة. لقد أقام زوبير علاقة مع "سكينة الروخة" خارج إطار الزواج المُشَرَّع دينيا واجتماعيا غير مبالٍ بالمجتمع ولا بالدّين والمعتقدات، كان يسعى لإشباع رغبته الجنسية المكبوتة في ظلّ رفض النساء له بسبب

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 23.

جسده، لقد تجاوز الممنوع وصنع لنفسه عالما كما يحبه ويتمناه، سعي فيه لتحقيق اللّذة التي تنسيه معاناته وألمه الداخلي.

الزوبير ينتمي لطبقة اجتماعية متوسطة، ميسور ماديا، من عائلة ثورية، حيث كان جدّه "سي قادة" مجاهدا طالما كان فخرا له ولوالده أيضا " أبي يحبّ والده كثيرا...حتّى يخيّل لك أنه وحده من حرّر البلاد، ولولاه لما حدث تغيير في التاريخ "[1].

تؤثر الأخلاق الموجودة في المجتمع على الفرد سلبا أو إيجابا، فتبرز شخصية كلّ واحد منّا، زوبير يعمل أستاذا، ولهذا تصرّفاته وحياته الشخصية كلها لها علاقة بمهنته سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هو شخص على قدر عال من الثقافة، مولع بمطالعة الكتب والروايات خاصة العالمية فقد طالع أبرز عناوين الروايات العالمية.

ورغم أنه كثيرا ما يغوص في عالم الخيال والاستيهام الذي صنعه لنفسه بعيدا عن همجية مجتمعه، إلا أنه على وعي بمحيطه ومجتمعه المتخلّف، مجتمع يتنكّر للأفكار والعلم والثقافة والفكر والوعي، مجتمع لا يعترف ولا يحكم إلاّ على ظاهر الأشخاص وشكلهم الخارجي، وهو ما أثّر في نفسية الزوبير شعوريا ولا شعوريا، إنه يشعر بالاغتراب في محيطه الاجتماعي، لا يشعر بالانتماء إلى المجتمع، يشعر بالوحدة والعزلة، لا يعرف حتى جيرانه أو الساكنين معه في نفس الحيّ و ذلك بسبب مانع هو " الجسد" الذي يعتبر الواجهة المهمّة

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 16.

التي نقابل بها العالم الذي لا يتعامل في الحقيقة إلاّ مع الأجساد، وهو ما صعّب وعقّد حياة زوبير أكثر.

زوبير مرفوض ومنبوذ ومظلوم حسب ما يشعر به، مظلوم هذا الشخص الذي لا يتوقف عن مطالعة الكتب والروايات التي تعد كنوزا أدبية وفكرية ثمينة، إنه معزول بحكم سخرية الجميع منه خصوصا أصدقائه وحتى تلاميذه، فقد أحبّ تلميذا عنده وتخيّله أحد أبطاله المفضلين في عالم الروايات لكن التلميذ تمادى وتهجم عليه بحجر أصابه به في رأسه ويتلقى بذلك زوبير رسالة مشفرة مفادها ضرورة استيقاظ زوبير من استيهامه ووجوب العودة إلى عالم الواقع ومواجهة المجتمع الذي يعيش فيه، حتى الفتاة التي لفتت انتباهه وأراد الزواج منها "تبيّة " رفضته، كذلك رفضته "سكينة الروخة " وهجرته بعد أن عاشرها عدّة أشهر.

إن الجسد هو لغة العالم التي يفهمها كل سكان المعمورة رغم اختلاف لغاتهم وعاداتهم وأفكارهم رغم الصّورة المزيفة أو الخاطئة التي قد يكوّنها هذا العالم عن شخصية معية بالنظر الى جسده فقط. فالقبيح جسديا ليس بالضرورة قبيح النفس والروح، الزوبير قبيح المظهر بجسده المشوّه المعطوب لكنّ روحه طيّبة، نقية، متفهّم وعاطفي، مرهف الإحساس لا يقوى حتّى على قتل حشرة، ومشهد تلك الحشرة العالقة بينما هو في مقهى يؤكّد ذلك، لقد حاول إنقاذها وفتح نافذة الزجاج لها لتذهب وطلب من النادل فتح النافذة لها لتذهب، لكن النادل نظر إليه باستغراب وسخرية، " واش ما كملناش مع بني آدم نزيدو النحل تاني؟ "[1]

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 99.

قتلها النادل وأثار بذلك عواطف زوبير، لقد حزن وتيقن مرة أخرى لوحشية العالم الذي يعيش فيه، "حزنك كثيرا وازداد يأسي من فضاضة البشر "[1]، قد يكون الزوبير قد رأى نفسه في تلك الحشرة الضعيفة، التي قتلها النادل بكل برودة بدل فتح النافذة لها للخروج، النادل في نظر الزوبير متوحش عديم الانسانية، " الدرس الأول في الوحشية هو قتل من هم أضعف منك"[2]، رسالة جعلت النادل ينفجر ضاحكا لما سمعها من زوبير وعيناه تدمعان لمصير نحلة.

الزوبير شخص رقيق المشاعر، حساس لا يقوى على أذية حشرة وما بالك بإنسان، رغم ذلك لم يرحمه المجتمع، لم يرحمه المحيط الذي يعيش فيه، لا أصدقاؤه ولا حتى تلميذه المفضل الذي لقّبه ب " لوركا " الذي تلقى منه رسالة مشفرة قاسية تدعوه إلى الاستفاقة من عالم الاستيهام الذي هو فيه والعودة إلى الواقع، " تلقّيت حجرا مُدبّبا أصاب مؤخّرة رأسي. حين استدرت نحو مصدر التصويب، لمحت ظلّ غارثيا لوركا "[3]. حتى أحب التلاميذ إليه احتقره وتهجم عليه وأذاه، لم ينجح في كسب ودّه رغم حبه له، بعد تلك الحجرة التي أصابته أدرك زوبير مدى ضعفه مدى توحش المجتمع الذي ينتمي اليه، الزوبير يشعر بضعفة، إنه يرفض حتى معاقبة وتأديب التلميذ، نفسه هكذا ترفض إلحاق الأذى بالآخرين أو الانتقام منهم، لا

[1] المصدر نفسه، ص 99.

[2] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 99.

[3] المصدر نفسه، ص 121.

يوليهم اهتماما لأن نفسه نقية في نظره، " أعترف ببشاعة صورة رأسي وشكلي ولا سبيل إلى نكران شيء لا تُخطئه العين، ولكنه في رأيي يظلّ تشوّها خارجيا فحسب "[1].

الجسد واجهة الشخصية المهمّ، أداة تواصلية مع الآخر، وزوبير مشوّه الجسد ممّا عقّد تواصله مع المجتمع وجعله صعبا جدا، زوبير يعتبر محورا للتواصل بينه وبين ذاته، ثم بينه وبين الآخرين، وكذلك في نظرة الآخرين إليه.

" لا يمكن اعتبار الجسد في هذه الرواية مكوّنا محايدا، بل هو شخصية محورية "[2]، فالجسد المشوّه للزوبير جعل منه شخصا انطوائيا غير اجتماعي، منعزل بجسده الناقص الذي منعه من التواصل مع الآخر وجعله يواجه رفض هذا الآخر له وابتعاده عنه." الجسد هو اختبار لإمكانية التواصل مع العالم، من هذه الناحية عجز زوبير عن الاندماج السويّ في الواقع الذي يعيش فيه "[3]، لخوض تجربة العيش في عام متخيّل خاص بع وبمن يحبّ وفقط، عالم يعيش فيه عواطفه وغرائزه الجنسية.

تعلّق زوبير بالفتاة " نبيّة " التي ظلّ يراقبها من خلال نافذة حمّام منزله، صنع لنفسه عالما آخر يجد فيه كل ما يفتقده في عالمه الواقعي، عالم يمنحه اللّذة التي يبحث عنها بإشباع رغباته المكبوتة، فيه يتخيّل الآخر الذي تمناه، بنبية، بصور نجماته المفضلة التي

[1] المصدر نفسه، ص 24.

[2] لونيس بن علي، مرجع سابق، 2016.

[3] المرجع نفسه، 2016.

علّقها على جدار غرفة الجلوس على رأسهنّ "مارلين مونرو"، لقد صنع لنفسه جوّا من الأحاسيس والعواطف التي افتقدها واقعيا، عوّضها في عالم متخل. بتلك الأوهام يشبع زوبير نزواته وغرائزه اللّيبيدية المكبوتة في مجتمع يحكمه الدّين والتقاليد والأعراف، في عالمه الخاص لا يخاف من شيء، يُفصِحُ عن تلك الغرائز والرغبات الجنسية التي تطفو إلى السطح دون خوف من الآخر الذي كان سيقف لمواجهته في عالم الواقع. فالأوهام إذن كانت طريقه للتعويض عن تشوّه جسده وكبته الجنسي وإحساسه بالعزلة واغترابه عن المجتمع.

كما أن علاقته بالآخر تجلت كذلك من خلا علاقته ب" عباس "، الشخص الوحيد الذي يرتاح إليه والذي يحبه ويخاف فقدانه، يرى نفسه كذلك في جسد عباس وفي شخصيه، كما أنه معجب كثيرا بطريقته في الحياة وفي مواجهة المجتمع وهو الذي مرّ بتجارب قاسية منذ طفولته.

ب – عباس وعلاقته بالآخر(المجتمع):

أثّرت في عباس حادثة اغتيال والديه لما كان طفلا، حادثة مؤلمة لم تكسره بل جعلت منه شخصا واعيا، قويّا، اجتماعيا، ثائرا على حالة المجتمع الثقافية والسياسية، لقد جعل من الإبحار ملاذه الوحيد ليفرّ من مجتمع متوحّش لا يُؤمن إلاّ بالمادّة. لهذا نجده دائما ما يُحفّز زوبير على الانخراط في هذا المجتمع والتماشي معه، يطلب منه ترك عمله الذي لا فائدة منه سوى المتاعب والأمراض، يطلب منه أن يكون اجتماعيا ويوكب العام الذي لا يعترف إلا بالمادة والملموس، مجتمه يعترف فقط بالنجاحات المادية بعيدا عن المبادئ المثالية التي

لا يزال زوبير غارقا فيها. عباس رجل واقعي، يواكب متطلبات المجتمع ويدرك انّه مجتمع لا يعترف بالأدب والثقافة وعالم الفنتازيا، إنه مجتمع التكنولوجيا والحسابات البنكية والأرصدة والأرقام، مجتمع الحروب التي تغيب فيه قصص أبطال الحكايات والروايات.

عباس واقعي جدا، براغماتي، يعرف مجتمعه جيدا ويواكبه، ولهذا لا يريد من زوبير أن يقبع في برجه الوهميّ ذاك أين يعيش مع ابطال رواياته المفضّلة، يريد منه أن يندمج مع هذا المجتمع، أن يعود للواقع ويفرض نفسه ويحقق ذاته كما فعل هو.

4 – البعد التأمّلي والثقافي:

يشغل الجانب الإبداعي الفكري، الثقافي والسياسي جانبا مهما في الرواية، فشخصية زوبير شخصية متفتحة جدا على الثقافة والأدب خاصة الأدب العالمي وذلك بفضل مطالعاته الكثيرة لأشهر الكتب والروايات لكتاب عالميين أمثال "غارثيا لوركا"، "فيكتور هوقو" وغيرهم فهو لا يتردّد في الإنفاق لأجل شراء الكتب " نصف راتبي أصرفه في شراء الكتب "[1]، كذلك برز جانب من الفكر السياسي، خاصة عند عباس صديق زوبير، فالسياسة جانب مهم أيضا في حياة الانسان والمجتمع، فالفكر علامة تطور المجتمعات رغم اختلاف طريقة تفكير كل شخص.

تفكير زوبير يختلف كثيرا عن صديقه عباس، فهو شخص يقرأ كثيرا لأنه يرى نفسه في أبطال الروايات، يحب الأدب والمطالعة ولا يتردد في اقتناء الكتب مما جعل مكتبته

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 125.

ممتلئة تكاد تلامس سقف المنزل، بالرغم من أنه يعرف أنه مجتمع لا يبالي بالمثقف أو بالمطالعة، مجتمع لا يهتم بالفكر ولا بثقافة الفرد، هو مجتمع يحكم على المظاهر وعلى الجسد وفقط. رغم ذلك زوبير لا يبالي بذلك، فهو أستاذ ويحب مهنته كثيرا رغم أنها لم تجلب له شيئا، لهذا نجد عباس لم يقتنع مطلقا بمهنة عباس وحاول مرارا إقناعه بالتخلي عنها في ظلّ مجتمع ونظام سياسي لا يهتم بالأستاذ ولا يحترمه، " مهنة المعلم الآن لا تجلب سوى الفقر والمهانة والشفقة والروتين والأمراض المستعصية ثم الموت ...ولا أريد أن أخسرك يا أخي "[1]، بينما عباس يعرف جيّدا واقع المجتمع الذي يعيش فيه لهذا يواكبه ويتكيّف معه قدر المستطاع.

مجتمع لا يعترف إلاّ بالمادة والملموس ولا يعير اهتماما للأدب والثقافة والفكر، يؤمن بالمال والأعمال والأرقام وفقط، لهذا نجده يطلب من زوبير ترك وظيفته كأستاذ لأنها وظيفة لا يقدّرها المجتمع الذي يعيشان فيه ولم يمنح النظام السياسي القائم للأستاذ حقه والمكانة التي يستحقها،" أفق وحرّك مخك يا أخي واستمع اليّ...مهنة المعلم الآن لا تجلب سوى الفقر والإهانة والمهانة والشفقة والروتين والأمراض المستعصية. ثم الموت... ولا أريد أن أخسرك يا أخي"[2]، إنّها وظيفة تضمن الفقر الدائم ولا مستقبل لصاحبها سواء ماديا أو اجتماعيا في مجتمعنا وهي واقع مؤسف، " شوف خويا الزوبير الكروفيت، لازم تبطل هذي

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 133.

[2] المصدر نفسه، ص 129.

الخدمة "[1]، لكن زوبير لا يتصوّر الفكرة حتّى، لا يمكنه أن يتوقف عن التعليم، إنّه يحبّ مهنته وتلاميذه، يرى في بعضهم صور أبطال رواياته المفضلين حتّى أنّه لقّب أحد تلاميذه المفضّلين ب " لوركا".

عبّاس يسعى لتوضيح أفكار سائدة في المجتمع للزوبير، يسعى لإقناعه أن الواقع مختلف تماما عما يتخيّله هو في عالمه الوهمي، يحاول إيقاضه من أحلامه ويغيّر طريقة تفكيره واقناعه أن واقع العالم وواقع مجتمعه عكس ما يظنّه تماما، " هذا ليس عصر القراءة ولا عصر الكتب والروايات ... عصر القراءة ودّعه العالم ودفنه إلى غير رجعة إنه عصر المال والأعمال ودفاتر البنوك. وفن العلاقات المثمرة. عصر الثورة، وتجارة الأسلحة، عصر فنّ الخدعة، والخُبث، والنفاق والتسلُق "[2].

يشرح عباس للزوبير وجهة نظر المجتمع لعلّه يستفيق، إنه أكثر واقعية وأكثر عمقا في إدراكه لواقع محيطه الذي يعيش فيه، العالم ليس روايات وخيال وبطولة وأحلام، إنه عالم قاسي، لا يرحم، عالم ماديات لا يعترف إلا بما في جيبك وأرقام حساباتك البنكية.

زوبير عكس عباس تماما بعيد عن البراغماتية والواقعية، لا يزال يؤمن بعالم المغامرات القصصية والأبطال الخارقين وبأن الطيبة والحب والأخلاق وحدها كافية للعيش

[1] المصدر نفسه، 129.

[2] ربيعة جلطي، مصدر سابق، 132.

بسلام في هذا العالم، لا يريد أو ربما يخاف من الاستفاقة من عالمه لمجابهة واقع البيئة التي يعيش فيها لهذا نجد عباس يلحّ عليه، " كتبك المرصوفة المرصوصة هذه لا تثير أحدا في هذه البلاد يا رجل "[1]. إنه ثائر على هذا المجتمع الماكر المتوحش الذي لا يعترف بالإنسانية والأخلاق، مجتمع لا يعطي للثقافة والفن والأخلاق أية أهمية، فكر يتهرّب منه زوبير إلى عالمه المتخيّل الجميل، ويثور عليه عباس، فهو سبب إبحاره بعيدا عن مدينته ومنزله وأصحابه لوقت طويل.

عباس يريد لفت انتباه زوبير إلى أنه يمكنه التصالح مع هذا المجتمع وجعله يحترمه ويعترف به رغم اعاقته الجسدية، فهذا المجتمع الذي ينبذه بسبب تشوه جسده يمكن أن يحترمه ويعترف به من جديد وذلك بفضل الجانب المادي، بالأموال والحسابات البنكية المملوءة، لأنه مجتمع مادي الى أبشع درجة. عباس يحاول إيقاظ الزوبير من أوهامه واعادته للواقع وإطلاق تحديات تمكنه من إعادة الاعتبار لنفسه وجسده بعيدا عن المبادئ الأخلاقية والمثالية.

العالم تغير، هو لا يعترف بالفكر والأدب بل بالتكنولوجيات والأرصدة البنكية والأرقام، مجتمع حروب وتسابق نحو التسلح لا مكان فيه للخيال والأوهام، المستقبل لمن يندمج مع مجتمعه، ويعود للواقع ويفرض نفسه بتحقيق ذاته كما يحب المجتمع.

[1] المصدر نفسه، ص 133.

أما عباس شخصية قوية، واقعية، محبّ للمغامرات البحرية، اكتسب فكرا مقنعا يدافع عنه أينما حلّ، فمأساته في فقدان والديه في العشرية السوداء وتحمله مسؤولية أخوين مقعدين منذ سنّ مبكرة جعلت منه شخصا ناضجا فكريا، يناقش في السياسة بمنطق وواقعية بعد تجارب العشرية التي لوّثت حياته وقضت على براءته وعلى والديه بسبب التعصّب الديني والفكر السياسي الفاشل الّذي تبنّته السلطة الحاكمة منذ الاستقلال. ينفعل كثيرا عندما يناقش في مواضيع سياسية وتوظيف الدّين لأغراض سياسية، " هو الوحيد بيننا الذي يهتم بالسياسة وما يحدث من أمور مأساوية في البلد والعالم ... لا يتردّد في ذكر الأشياء بأسمائها، إن له تصوّر مغاير للحكم "[1]، له موقف واضح وحازم إزاء نظام الحكم الذي فشل في تسيير البلاد منذ الاستقلال إلى اليوم، كما أنه عدوّ لدود للتعصب الديني الذي وظفه هذا النظام، تعصّب مستورد من دول المشرق لا علاقة له بالعقلية الجزائرية والعادات والتقاليد، إنه ينفعل كثيرا ويستغرب كيف نستورد فكرا هدّاما غير ثوري، استوردنا معلّمين من المشرق لتعليم أبنائنا فكرا إخوانيا غريبا ونحن الذين أبدعنا وصنعنا أكبر الثورات في العالم، " كيف لسلطة حكم...أن تستقدم...معلمين من المشرق ومن "حزب الإخوان المسلمين " يحملون فكرا غير ثوري في بلد الثورة. فكر نقيض لما دافع عنه الجزائريون "[2].

[1] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص 32.

عباس يدعو لتحرير الفكر الجزائري من الإخوانية المشرقية المستوردة، يتهم السلطة التي استولت على الحكم بالفشل في تسيير البلاد، " كيف لسلطة ثورية أن تستورد الأفكار الهدامة المتخلّفة الخطيرة لتتسرّب مثل السمّ بين الناس الطيّبين "[1].

كذلك نلمس هذا الاضطراب الفكري لدى شخصية "**مصطفى**"، ذلك الصديق القديم الذي التقاه زوبير يوما في الطريق لكنه كان باردا بعيدا عمّ عرفه عليه أيام الدراسة، أصبح يدرّس مادة التربية الاسلامية وتبنى توجها فكريا دينيا واضحا من خلال لباس زوجته وابنتيه، " كان يجرّ طفلتين احداهما على رأسها غطاء أسود...لمحت زوجته خلفهم تتعثّر في ثوب أسود واسع يسيل من فوق رأسها حتّى الأرض "[2]، مما يعطي انطباعا بتوجّهه الفكري والديني خصوصا وأنه غطى رأس طفلة صغيرة، لكن زوبير يكتشف صدفة صورة الآخر في مصطفى، الآخر الذي لا يأبه بالخطاب الديني ويقضي سهرات في ملهى ليلي " كباري العيون" يراقص الفتيات ويلهو معهن، عندما ظهرت الراقصة نورهان في الطريق وكشفت من خلال حديثها بمصطفى الآخر المتخفّي منه، " ياه، أنا الراقصة نورهان نتاع كباري العيون، ثم عاتبته لغيابه عن سهرة الخميس الماضي وأنها انتظرته على أحرّ من الجمر "[3]، إنه بوجهين وجه الشخص المتديّن أستاذ التربية الإسلامية، الذي يحرص على تغطية جسد

[1] المصدر نفسه، ص 33.

[2] ربيعة جلطي، مصدر سابق، ص 38.

[3] المصدر نفسه، ص 40.

زوجته وحتى بنتيه الصغيرتين، و وجه آخر لا علاقة له بالدّين والتديّن ، يلهو في الكبريهات مع الفتيات، إنه عيّنة بسيطة من مجتمع متناقض، مريض نفسيا، أشخاص بمظهر التديّن والأخلاق وبباطن التمرّد والتحرّر من كل شيء، هكذا هو المجتمع الذي يعيش فيه زوبير بتناقضاته الفكرية والعقائدية.

خاتمة

خاتمة:

من خلا هذا البحث يمكننا الإشارة إلى جملة النتائج التي توصلنا إليها ونلخصها في نقاط:

- أن المنهج النفسي منهج نقدي يهتم بالشخصية في الأعمال الإبداعية الأدبية والفنية، وقد قدّم له فرويد نفَسًا جديدا من خلال مفاهيمه في التحليل النفسي، وقد تأثّر بهذا المنهج العديد من النقاد والأدبيين فوظّفوه في تحليلاتهم النقدية وفي أعمالهم الأدبية، وكذلك تأثر بهم الكتّاب فرسموا شخصيات رواياتهم موظّفين ملامح ومبادئه ومظاهره في الشخصيات الفنية، كما أن المنهج النفسي منهج هامّ جدا بحيث يساعد على تنوير العمل الأدبي والناقد قصد الولوج إلى أغوار الشخصيات الفنية والتعمق في أسرارها وحالاتها النفسية المكبوتة والعميقة التي يصعب ملاحظتها واستخلاصها بالملاحظة السطحية العادية أو بتوظيف باقي المناهج النقدية الأخرى .

- عالجت رواية "عازب حيّ المرجان" عدّة مفاهيم وإشكاليات أضحت من المشكلات في عصرنا هذا منها إشكالية الجسد والمظاهر ومفاهيم الكبت والاستيهام وبعض عقد الشخصية كعقد النقص والخوف والحرمان العاطفي وغيرها من العقد التي تترتب عن عطب الجسد الذي تبرز أهميته الكبيرة في مواجهة الشخصيات للعالم الخارجي وأثر العطب الجسدي هذا على تعامل الشخصية مع هذا العالم، وتعامل العالم الخارجي معها.

- الجانب النفسي لشخصيات الرواية مهمّ جدا، كونه يعتبر عنصرا هامّا وبارزا، فالبطل عانى كثيرا من جسده المعطوب الذي جعل منه شخصا خارج العالم والواقع وخارج التاريخ، جعله يسبح في أوهامه وعالمه المتخيّل هاربا رافضا لألم الواقع الذي يعيشه. شخصية البطل زوبير الذي حاول مرارا إثبات ذاته لكنه لم ينجح.

الرواية أظهرت نماذج لحالات نفسية إنسانية كزوبير وعباس وعقدهم النفسية التي ساهمت في رسم ملامحهم الخارجية ومنحتهم صفاتهم الدائمة.

- رواية "عازب حيّ المرجان" رواية جميلة اعتمدت فيها الروائية على الجسد المشوه لشخصية البطل، وأبرزت تشوّهه الخلقي الذي كان يقتله ببطئ شديد وأكيد، لكنها أيضا أبرزت جمال الجانب النفسي الباطني للشخصية، فزوبير رغم تشوّهه إلاّ أنه طيّب القلب، حنون ومحبّ للخير والجمال، رغم أنها لم تعمل على تحسين حالته في آخر الرواية، بل عمدت إلى قتله بطريقة صادمة، مقلقة ومؤسفة ونحن الذين كنّا ننتظر خروج زوبير من عالمه المتوهّم أخيرا وتحرّره من عقدة جسده ومن نظرة الآخر إليه التي لم تعد تهمّه.

- الرواية من خلالها عالجت الكاتبة مشكل الجسد وسيطرته على العالم، الذي لا يحكم إلاّ على الصورة، فإن كانت الصورة الجسدية جميلة فالشخص جيد وجميل وإن كانت الصورة سيّئة وقبيحة فالشخص بالضرورة هو كذلك، دون عناية بجوانب الشخصية الأخرى كالفكر والأخلاق والقيم الانسانية الجميلة والثقافة والانفتاح على العالم بفنّه وأدبه بمشاربه المختلفة.

- اعتمدت الروائية على الحوار بنوعيه، وتترسم في حوارات زوبير حالاته النفسية ومعاناته وقهره في مجتمع لم يحمه ولم يحاول منحه فرصة لإبراز ما فيه، لغتها بسيطة ومفهومة غير غريبة عن المجتمع الجزائري، رسمت صورة هذا المجتمع القاسي الذي نعيش فيه بتناقضاته وأمراضه.

- لاحظنا كيفية إبراز ملامح الشخصية النفسية ووضوح الحالة النفسية لأبطال الرواية ممّا سهّل تحليلها على ضوء المنهج النفسي، فلكل شخصية تصرّفاتها وعقدها التي تفسّر تلك التصرفات من الناحية النفسية، سواء من خلال مرحلة طفولة الشخصيات أو من خلال حاضرها والوسط الاجتماعي التي تكون فيها المكانة الاجتماعية والاحترام والعرفان الاجتماعي للجسد والشكل الخارجي المادّي فقط، على حساب الروح والفكر والفنّ والسموّ الروحي وغيره.

- لطالما حظي الجسد باهتمام كبير سواء قديما أو حديثا، فقد كان موضوعا للفلسفة الإغريقية من خلال سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم مرورا إلى الفلسفة الحديثة مع ديكارت وسبينوزا ودافيد هيوم وغيرهم، حيث اعتبروا الجسد جوهر الإنسان إلى جانب عقله، وصولا إلى نيتشه الذي اعتبر الجسد سجنا للنفس. الجسد إذن جزء واقع من التجربة الانسانية، هو الذي يُكوّن الوجود والذات الانسانية، وتتحدّد خاصية الجسد ومكانته من خلال ثنائية "الأنا والآخر"، أي الجسد وعلاقته بالآخر سواء داخليا أو بالعالم الخارجي، فعلاقة الجسد مع الآخر يسمح لنا بكشف الشخصية وتفاعلاتها وعلاقاتها بالانا (النفس) وبالآخر (المجتمع)،

فالإنسان مستحيل أن يعيش معزولا، ولهذا فإن هذا الجسد هو بمثابة مقياس للحرية، إمّا هو رمز لحرية الشخص أو رمز لقيوده وسجنه.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

أ/ باللغة العربية:

1 - أرسطو، فن الشعر، ترجمة الدكتور ابراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية.

2 - ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، منشورات ضفاف، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2016.

3 - سجموند فرويد، الأنا والهو، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، تر: الدكتور محمد العثمان نجاتي، بيروت، لبنان، ط4، 1982.

4 - سجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي، جمعية القراءة للجميع، 2000.

5 - سجموند فرويد، الهذيان والأحلام في غراديفا، لجنسن، تر: نبيل أبة صعب، منشورات وزارة الثقافة بديمشق،1971.

ب/ باللغة الفرنسية:

6- FREUD Sigmund, Le rêve et son interprétation: traduction de l'Allemand par Hélène Legros 1925, éditions Berri, Bejaïa, 2016.

ثانيا: المراجع

7 - أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1979.

8 - إيريك فيروم، أزمة التحليل النفسي، ترجمة الدكتور طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1988.

9 - جان بيلمان، التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997.

10 - جويدة حماش، بناء الشخصية (مقاربة في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007.

11 - خليل رزق، تحولات الحبكة، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

12 - روجيه موكالي، العقد النفسية، ترجمة: موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1، 1988.

13 - سعاد حرب، الأنا والآخر والجماعة: دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

14 - صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة السابع من أفريل، ط1، 1426هـ.

15 - صلاح صالح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003.

16 - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، ط1.

17 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، دار العرب للنشر والتوزيع، الكويت.

18 - عبد المطلب زيد، رسم الشخصية المسرحية، دار غرين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

19 - عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط 4.

20 - كامل محمد عويضة، علم النفس بين الشخصية والفكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

21 - كلفن هال، أصول علم النفس الفرويدي، ترجمة: الدكتور محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة والنش، بيروت، لبنان.

22 - محمد أحمد النابلسي، أصول الفحص النفسي ومبادئه، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1997.

23 - محمد فؤاد جلال، مبادئ التحليل النفسي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017.

24 - نبيلة زويتش، تحليل الخطاب السردي، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007.

ثالثا: المجلات:

25 - مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد السابع، العدد 2، السنة السابعة، 2012.

رابعا: القواميس:

26 - بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

خامسا: المواقع الالكترونية:

1 – لونيس بن علي، ارتباكات الجسد السردي في "عازب حي المرجان"، تم الاطلاع عليه في الموقع www.ultrasawt.com بتاريخ 21 جويلية 2020.

2 –سيغموند فرويد، عالم النفس الذي انتحر، تم الاطلاع عليه في الموقع www.doc.aldjazeera.net بتاريخ 09 أوت 2020.

الفهرس

الفهرس

العنوان **الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....02

الفصل الاول: المنهج النفسي، نشأته وتطوره.....08

1 – تعريف علم النفس.....08

2 – علاقة علم النفس بالأدب.....08

المبحث الأول: المنهج النفسي، جذوره ونشأته عند الغرب.....09

1 – النظريات الاستدلالية للشخصية.....12

2 – النظريات الحدسية في الشخصية.....12

المبحث الثاني: علم النفس والشخصية.....13

الفصل الثاني: التحليل النفسي والأدب.....18

المبحث الأول: مدرسة التحليل النفسي لسجموند فرويد.....19

أ – تعريف سجموند فرويد.....19

ب – تعريف التحليل النفسي.....20

ج– المبادئ و المفاهيم الاساسية للتحليل النفسي عند فرويد.....24

1 – الشعور واللاشعور.....26

1.1 – الشعور واللاشعور ودوره في الإبداع.....27

2 – التحليل النفسي للنصّ.....28

د– مكونات الشخصية عند فرويد.....29

أ – الهو.....29

ب – الأنا.....35

ج– الأنا الأعلى.....36

3 – الطفولة ودورها في تفسير الحياة النفسية للإنسان.....37

4 – الحيل الدفاعية.....39

المبحث الثاني: علاقة التحليل النفسي بالأدب.....42

1 – أهمية الشخصية في الرواية.....47

2 – العقد النفسية للشخصية.....48

أ – تعريف العقد النفسية.....49

ب – أنواع بعض العقد النفسية.....51

الفصل الثالث: سيكولوجية الشخصية في رواية "عازب حي المرجان" لربيعة جلطي.....57

المبحث الأول: الشخصية الروائية وأنواعها.....58

1 – تعريف الشخصية الروائية.....58

2 – أنواعها.....60

المبحث الثاني: ملخص الرواية وأهم شخصياتها.....63

أ - ملخص الرواية.....63

ب - أهم شخصياتها.....66

المبحث الثالث: أبعاد الشخصية الروائية في "عازب حي المرجان".....68

1 – البعد النفسي السيكولوجي وعقد الشخصية.....68

أ/ شخصية زوبير.....71

ب/ شخصية عباس.....85

2 – البعد الجسدي الفيزيولوجي وعلاقة زوبير بالآخر.....89

3 – البعد الاجتماعي وعلاقة الجسد بالآخر.....92

أ – الزوبير والآخر.....92

ب – عباس وعلاقته بالآخر (المجتمع).....97

4 – البعد التأملي والثقافي 98

خاتمة.....105

قائمة المصادر والمراجع.....110

الفهرس.....115

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى سيكولوجية الشخصية الروائية في رواية عازب حي المرجان للروائية ربيعة جلطي إلى تحليل الشخصية الروائية من الجانب النفسي بالاستناد على اليات التحليل النفسي التي أسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد .

حاولنا في هذه الدراسة إبراز أهم المصطلحات و المبادئ التي أتى بها فرويد في التحليل النفسي ، و علاقة التحليل النفسي بالأدب ، كما حاولنا إظهار أبعاد الشخصية الروائية في رواية عازب حي المرجان و قد أبرزنا ذلك من خلال البعد النفسي و تحليل بعض العقد ، والبعد الجسدي ، و البعد الاجتماعي ، البعد الثقافي للشخصيات الرئيسية (البطلة) في الرواية .

الكلمات المفتاحية :

فرويد ، سيكولوجية ، النفس ، العقد ، الشخصية .